

مطلع الفجر

* مقابلة صحفية مع الإمام الخميني (قدس سره)

* الثورة الإسلامية ورسالتها في كلمات سماحة الإمام الخامنئي (دام ظله)

* مقابلة مع العلامة الشهيد الشيخ مرتضى مطهري حول مسائل النظام
والثورة

* قصيدة بعنوان عام الخميني

— ١٤٣٥ هـ —

دار الولاية للثقافة والإعلام

الله أكبر

بيان الخصائص والأسباب الرئيسية لتبلور الثورة الإسلامية

مقابلة صحفية مع الإمام الخميني (قدس سره)
المحاور: الكاتب والمحلل العالمي محمد حسنين هيكل.

سؤال - كيف ترون الحركة الإسلامية بالمقارنة مع زمن الرسول؟
جواب - الحركة الحالية في إيران مثال لحركة صدر الإسلام وسيكون لها تأثير عميق طويل جداً في مدة يسيرة.

سؤال - ما هي أسباب اتساع الحركة الجديدة، على الرغم من المعنويات المحبطة واليأس الظاهر على الناس؟

جواب: هذا اليأس كان موجوداً في كافة الدول الإسلامية، ويعزى إلى قوة تأثير الدعايات الغربية والأجنبية، التي شملت سيطرتها جميع البلدان الإسلامية شمولاً لم يبق أملاً لإنقاذ شعب إطلاقاً.

أما الآن فنحن نلاحظ ظهور هذه الحركة واليقظة أن تلتحق بها جميع الدول الأخرى، وما هذا باحتمال ظني، بل هو أقرب ما يكون إلى التأكيد أن المسلمين

سيحررون من هذه السيطرة سائلاً الله - تعالى - أن يتحرر مسلمو العالم، وتحقق آمالهم.

سؤال - هل تتوقعون استمرار الحركة الإسلامية الإيرانية وانتقالها أيضاً إلى بقية الدول؟

جواب: من المؤكد دوام واستمرارية هذه الحركة لدى المسلمين الإيرانيين، لكن إيران تحتاج إلى من يساندها من الخارج، كمساعدتها إعلامياً، ووجود كتاب كبار يؤدون واجبه الديني في مثل هذه الأحوال بأقلامهم المقتدرة، وإيصال قضاياهم إلى شعبهم وإلى جميع شعوب العالم، وهذا من الأسباب التي ترفع معنوية الشعب الإيراني، حتى يستمر في مسيرته بخطى ثابتة.

سؤال - كنت في إيران في العامين ١٩٥٠ و١٩٥١ (في ذروة النضال ضد الإنجليز) وكتبت أول كتاب لي حول إيران^١، برأيكم ما هو الفرق بين النضال في تلك الأيام والنضال في هذه المرحلة؟ ولماذا هزمت الامبريالية الحركة في تلك الأيام؟

^١ إيران على فوهة البركان (بعد انقلاب ١٣٣٢ ش.).

جواب: رأيي أن الحركة الحالية أكثر رسوخاً من الحركة أيام المرحوم الدكتور مصدق فالحركة في ذلك الوقت سياسية محضة في حين أن الحركة الحاضرة لها صبغة دينية أكثر.

وفي إيران كل الشعب مسلم. وهناك طبقات كثيرة لا تعرف شيئاً عن السياسة، لكنها تحب الدين كثيراً.

فجميع القرى تردد الشعارات نفسها التي ترددها المدن - وهم يحنونكم على الذهاب لرؤية خطابهم، ومطالبهم هي نفس مطالب أهل المدن.

فكل الشعب من الصغير في الابتدائية حتى الكبير المشرف على الموت، يرددون بصوت واحد هذه المطالب، وهذه الشعارات والمطالب تعم الوطن كله ولا أحد يجادل أن هذه الحركة إسلامية سياسية.

أما الحركة الماضية، فكانت سياسية فقط.

والحركة الحالية أكثر عمقاً والأمل بانتصارها أكبر، وأتمنى أن لا يتمكنوا من إخماد إرادتها.

سؤال - نحن أيضاً نتمنى أن تنتصر هذه الحركة. وأنا في الحقيقة أفتخر أنكم أتحم لي الفرصة وسمحتم بهذا الحديث، ولكن كلنا نسأل أنفسنا هل ستصل هذه الحركة إلى أهدافها؟ فالكثير منا قلق من أن لا تحقق هذه الحركة أهدافها، فأعداؤنا أصبحوا أكثر خبرة من الماضي. والمشكلة ليست الشاه فقط، فإيران بلد

كبير مصدر للنفظ وهي شرطي المنطقة وراعية المصالح الامبريالية وأحد أعضاء الحلف العسكري.

عندما كنت في إيران كانت هناك أسباب للقيادة السياسية للحركة، ودوافع للقيادة الدينية أيضاً. أما الآن فالقيادة كلها إسلامية. في ذلك الزمان كانت القيادتان السياسية والدينية منفصلتين إحداهما عن الأخرى (المقصود هنا هو كاشاني ومصدق). القيادة الآن (السياسية- الدينية) واحدة. ولكن الأعداء متحدون أيضاً، والمنطقة كلها تخضع لنفوذهم. والغرب قد فوجئ بهذه الحركة التي حدثت في إيران. لقد قابلت الشاه في إيران منذ أعوام، وكان الجميع يعتقد أن الأوضاع قد استقرت. والسؤال هو لماذا حصلت هذه الحالة؟ وكيف حصلت؟ وما هو منشأ هذا النمو العظيم للحركة؟

جواب: هذه القدرة ناشئة من الإسلام، ففي عهد الكاشاني ومصدق كان الأساس سياسياً، وكانت الجوانب السياسية للحركة قوية. ففي عهد كاشاني كنت قد كتبت له وقلت أيضاً: يجب الاهتمام بالجوانب الدينية، ولكنه لم يستطع أو لم يرد ذلك. وبدلاً من تعزيزه للجوانب الدينية أو ترجيحه لها على السياسية أصبح نفسه سياسياً، وأصبح رئيساً للمجلس، وكان ذلك خطأ فادحاً. أنا نصحتهم بأن يفعلوا شيئاً من أجل الدين لا أن يصبحوا سياسيين.

أما الآن فالحركة دينية وإسلامية من كافة النواحي، والسياسة تدخل فيها أيضاً، فالإسلام دين سياسي، والسياسة ضمن هذه الحركة. حسناً زوروا إيران الآن، وشاهدوها عن قرب - فستلاحظون ماذا حدث اليوم وما كان في أمس.

المشكلات كثيرة، والدول العظمى موجودة، وهم يتخوفون كل الخوف من حركتنا، لكنهم لا يستطيعون فعل شيء، إلا إذا أرادوا أن يتدخلوا بالقوة، فنحن ضعفاء ولا نستطيع مواجهتهم عسكرياً، وبغير ذلك لن يحالفهم نصر لا بالحكومات، ولا بالانقلاب العسكري، أو الحكومة العسكرية وغيرها ولا بانقلاب عسكري وإسقاط الشاه بذاته أيضاً. فعمق الحركة وصل إلى حد حلت فيه جميع هذه المسائل، فالدولة العسكرية والحكومة العسكرية ليست لها أهمية لدى الشعب.

واليوم نرى الشعب يتظاهر من أجل الإسلام وفي ذلك الوقت (مصدق) كانت المظاهرات من أجل النفط. وهناك فرق بين تحرك الشعب من أجل مصالحه وتحركه في سبيل الله. فالحركة في تلك الأيام مادية وهي اليوم معنوية، لذلك تشبه صدر الإسلام، ونحن نأمل التوفيق والنجاح. هذا لا يعني أننا لسنا قلقين. بالتأكيد القلق موجود في نضال كهذا، فجميع المحافل السياسية في العالم مهتمة بإيران، ويريدون سحق هذه الحركة الإيرانية.

وهذا لا يعني أننا لا نعلم بالمؤامرات ولا نقلق، ولكننا قد أدينا وظيفة شرعية، ولبيناً أمراً إلهياً، وهذا هو منطق صدر الإسلام، وهو المنطق نفسه الذي يقول: إذا قتلنا نذهب إلى الجنة، وإذا قتلنا نذهب إلى الجنة، وإذا هزمنا نذهب إلى الجنة

وإذا انتصرنا نذهب إلى الجنة. لذلك لا نخشى الهزيمة، وليس لدينا أدنى خوف. قضيتنا ليست سياسية صرفة، نحن نتحرك بمنطق الإسلام، ولا نخاف من الهزيمة. فالرسول الأكرم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - هزم كذلك في بعض غزواته. نحن نحارب بسيف الله، ولا نخاف وهذه الحركة سوف تستمر.

سؤال - كيف حدثت هذه الحالة؟ المراقبون الذين يتابعون الأحداث الإيرانية والذين طالعوا الأوضاع الإيرانية لا يستطيعون تصديق هذه الحركة العظيمة. هذا أول نموذج في التاريخ وهو الوحيد الذي تمت فيه قيادة الحركة والتحكم فيها عن بعد. فمن أين جاءت عظمة هذه الحركة؟

جواب: إيران ملجأ الأمن والاستقرار المحفوف بالمخاطر، فكل ضغط يولد انفجاراً، وكل ضغط شامل يتبعه انفجار شامل. فالشعب كان مضغوطاً من جميع الجهات، والجميع كان ينتظر لحظة الخروج من هذا الضغط، وأمل الجميع رحيل الشاه. وإذا كنتم على دراية واطلاع دقيق تذكرون عهد رضا خان بعد كل تلك الضغوط، وذلك عندما هاجمت قوات الحلفاء إيران من ثلاثة محاور واحتلتها، وأصبحت حياة الشعب عرضة للخطر، لكن الشعب كان كله سعيداً برحيل رضا شاه، وذلك لأن الضغط وتضييق الخناق أغرقاه في فاجعة كبرى، فتحمل المصاعب الفادحة ابتغاء الخلاص من تلك المصيبة الكبرى، وتعاضم الضغط وتضييق الخناق في عهد هذا الشاه، وتوالت أحداث عدة جعلت الشعب

يتعذب، كما أن المنظمات السرية (السافاك) عاملت الشعب بالأسلوب نفسه، فضاق الناس ذرعاً بما نزل بهم، وصار الجميع ينتظرون من يكسر هذه العقدة، ليعبروا عما في داخلهم. وقد أزاحت العقيدة هذه المحنة، فأنا أفهم لغة الشعب، وأعرف مؤسسات المجتمع، وأتكلم بلسان الشعب وأعبر عن وجدانهم. وكنت أشير بإصبعي إلى جميع نقاط الضعف خلال الخمسين عاماً الماضية، لقد كنت مطلعاً، ومراقباً، فكل الشعب كان في حالة ثورة، وجميعهم ينتظرون، وهذا الوضع الاستبدادي نقل الانفجار من القوة إلى الفعل وقيام الروحانيين أدى إلى الثورة.

سؤال - قالوا: إنه ليس هناك احتمال أن تتدخل أمريكا عسكرياً في إيران، لكن إذا لم يستطع الجيش مقاومة الشعب ورأت مصالحها في خطر حقيقي ألا ترجحون احتمال التدخل العسكري؟

جواب: لقد تعلموا التجارب من خلال الهجمات السابقة على إيران، هم يعلمون أنهم يستطيعون القيام بهجوم عسكري، لكنهم لا يستطيعون البقاء والاستمرار. ففي الدولة التي يكون فيها جميع الناس رافضين، فإن المهاجم من الممكن أن يحقق نجاحاً ولكن لا يستطيع البقاء. لأن الشعب سيسحقه. ولأولئك خبراء قاموا ويقومون بدراسة الأوضاع، وهم يعرفون هذه القضايا.... لذلك لن يقدموا على مثل هذا العمل، لأنهم إن فعلوا فسوف يهزمون.

سؤال - أعتذر من أخذ وقتكم الكثير. وعندما ترغبون في إنهاء الحديث، ففضلوا بذلك.

جواب: ألفت نظرك إلى أمرين.

الأمر الأول: هذه الثورة ثورة إسلامية لشعب مظلوم ثار على هؤلاء الجبارين الذين يريدون القضاء على هذا الشعب كله. فما الذي حدث حتى يناهض علماء الأزهر الشعب، ويقفوا مع الشاه؟ ما العمل مع العلماء الذين أيدوا الاستبداد والظلم على المظلومين؟

الأمر الثاني: أطلب منك أنت الكاتب المقتدر إذا كان بإمكانك أن تذهب وترى إيران لتدقق في هذه المظالم، واختر من تريده من جميع الطبقات السياسية، التجار، الرعايا العسكر - الضباط الصغار والشباب خاصة - الإدارات الحكومية موظفي الحكومة، واسألهم كيف كان الوضع؟ وماذا حدث؟ وما هو عليه الوضع الحالي؟ وبعد أن تحصل على ما تريد أكتب كتاباً عن إيران وانشره كما فعلت في رحلتك السابقة، فهذا سيساعد الشعب الإيراني ويدعمه، وتؤدي أنت واجبك الديني.

سؤال - كنت قد التقيت الشاه عام ١٩٧٥، وجرى بحث وجدال عميق معه. وعندما قلت له بأنه لديّ أسئلة كثيرة أسألكها، قال أيضاً: أنا لدي الكثير من الأسئلة أسألكها. وهو يعلم أنني صديق عبد الناصر، وسألني الكثير من الأسئلة

التي تخص عبد الناصر. وعندما كان الشاه يتكلم على نفسه وثورته والشعب وأمنيته، قلت له: لماذا كلما ذهبت إلى مكان تواجه معارضة جادة وقوية من شبان البلاد، ورفضاً للحكم الملكي؟ والشباب هم مستقبل الأمة، فلماذا يناوضونكم؟ لست بحاجة للذهاب إلى إيران، لأعرف كيف تجري الأمور؟ فأنا أعرف الأوضاع، إذ كنت صديقاً مقرباً من عبد الناصر، وكنت معارضاً لنظام الشاه. أما بالنسبة للعلماء، فهذه أول حركة في الإسلام تقوم على الشاه بشكل علني، والشيء الذي أضفى أهمية على هذه الحركة هو أنها كانت الحركة الأولى على الدولة. وما يؤسف عليه أن علماء الأزهر خاضعون لأوامر الدولة خضوعاً كاملاً وهذا ما كان منذ عهد العثمانيين بل من بداية الخلافة. الدولة تسيطر على كل شيء، ولهذا السبب كان بعض الشيوعيين يهاجموننا، ويقولون بأن الدين هو أحد وسائل الدولة لتنفيذ أهدافها.

جواب: إحدى خصائص المذهب الشيعي أنه لم يكن في زمن من الأزمنة خاضعاً للدولة، بل وقف في وجه الدولة، وضحى بعظمائه. ومذهب كهذا يستطيع أن يُعرّف الإسلام وينشره، ويقف بحسم في وجه الشيوعيين، ويثبت أن الدين ليس أفيون الشعوب، وأن العلماء غير خاضعين للدولة.

سؤال- [أوافق أن هذه الحركة حركة دينية. فما هو برنامجك بعد رحيل الشاه؟ وهذا البرنامج لابد أن يكون سياسياً أي الانتقال من حركة دينية محضة إلى حالة سياسية أو سياسية دينية، كيف سيتم انجازه؟]

جواب: ديننا هو الدين السياسي، فعلماء الدين ساسة، ولا ينقصنا رجال في البلد، فلدينا علماء مسلمون ومدبرون في جميع الأقسام، وبعد رحيل الشاه سنتخلص من مجموعة لصوص، وسيحل محلهم مجموعة من المختصين الأمناء.

سؤال - [سأسألكم سؤالاً لعله لا يليق بي طرحه، وهو: ما هي الشخصية أو الشخصيات التي تركت أثرها عليكم في التاريخ الإسلامي أو غير الإسلامي - باستثناء الرسول الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَام)؟ وما هي الكتب التي أثرت فيكم باستثناء القرآن الكريم؟]

جواب: لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال الآن، فهو يحتاج إلى الكثير من التأمل. لدينا الكثير من الكتب، وربما أستطيع أن أقول في الفلسفة: الملاصدرا، ومن كتب الأخبار والمعلومات: الكافي، ومن الفقه: الجواهر^٢ فعلومنا الإسلامية غنية جداً، ولدينا الكثير من الكتب. ولا نستطيع إحصاءها لكم^٣.

^٢ جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، للفقير الكبير الشيخ محمد حسن النجفي - رحمه الله - وهو في الفقه الاستدلالي.

^٣ صحيفة الإمام، ج ٥، ص: ١٨٣، في تاريخ: ٢ دي ١٣٥٧ ش. / ٢٢ محرم ١٣٩٩ هـ المكان: باريس، نوفل لوشاتو.

الثورة الإسلامية ورسالتها

(الإمام الخميني (والمعلم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبعاد الثورة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبیب قلوبنا
وشفیع ذنوبنا البشیر النذیر والسراج المنیر أبی القاسم محمد وعلى آله
المنتجبین الهداة المهديين.

إن للثورة الإسلامية التي قادها الإمام الراحل وأشاد على أساسها
الجمهورية الإسلامية بعدان: الأول داخلي - أي داخل إيران - والآخر عالمي
إسلامي إنساني، وكلا البعدين يمتازان بأهمية قصوى.

الثورة الإسلامية بما أوتيت من قابليات ونقاط قوة ذاتية وبفضل القيادة
الحكيمة للإمام الراحل وجهاد واستقامة وصمود الشعب الإيراني، استطاعت
أن تحرز مواقع متقدمة على كلا الصعيدين.

واليوم ومن موقعي هذا - وأنا أقف أمام المرقد المبارك للإمام الخميني
القائد الفذ الذي لم نشهد له مثيلاً في عالمنا المعاصر حيث نعيش ذكراه -

أعلن أنّ الثورة الإسلامية لم تتوقف ولن تتوقف في مسيرتها على كلا الصعيدين، بل نحن مصمّمون على السير قدماً في هذا الاتجاه.

على صعيد البعد الأول، فإن الهدف الأساس الذي سعت الثورة لتحقيقه، وهو إقامة نظام مستقل في شتى جوانبه؛ لأن التبعية للقوى الأجنبية هي الطامة الكبرى بالنسبة للشعب وللدولة معاً ويترتب عليها جملة من المفسد والمضار، فإذا فقد الشعب استقلاله وارتبط بدولة أجنبية فإن جميع طاقاته وموارده الطبيعية والبشرية ستستنزف وتُكرّس لصالح تلك الدولة، وهذا لا يخدم البلد قطعاً، وستكون الطاقات المخلصة والمؤمنة بمنأى عن مراكز صنع القرار، بل وقد يقوم النظام العميل بتصفية وإنهاء تلك الطاقات الخيرة. كما أن طبيعة العلاقات التي تربط ذلك البلد بغيره من البلدان تُحدّد من قبل الدولة الأجنبية المسيطرة على مقدّرات البلد، أضف إلى ذلك أن مثل هذا البلد الخاضع لهيمنة دولة أجنبية سيتطبّع بالآداب والأخلاق والعادات والديانة التي ترتضيها القوة المهيمنة. ومن الطبيعي - في مثل هذا البلد - أن تكون هناك عملية تجاهل واستبعاد لآراء وإرادة الشعب؛ فلا يوجد أي دور للشعب في مثل هذا النظام، وأي شقاء وأي تعاسة أكبر من هذه التعاسة وهذا الشقاء الذي يصيب شعباً كهذا؟!!

إخوتي وأخواتي الكرام، لقد كانت إيران قبل انتصار الثورة الإسلامية من الدول المرتبطة بالقوى الأجنبية، خاصة في الخمسين سنة الأخيرة التي استلم فيها النظام البهلوي مقاليد السلطة، حيث كان هذا النظام الفاسد يعيش قمة التبعية إلى الغرب.

وللتدليل على ذلك سأستعرض عدة نماذج واضحة وملموسة؛ ليتبين لنا مدى العظمة التي وصلها الشعب الإيراني جراء الثورة الإسلامية المباركة. لا يوجد هناك ثمة جدال في أنّ الانجليز هم الذين أوصلوا (رضاخان) إلى السلطة في إيران، فهذه حقيقة يؤيدها حتى المرتبطون بذلك النظام، ويتفق عليها جميع المؤرخين المنصفين، وعندما أحس الانجليز أنّ رضاخان أخذ يُبدي نوعاً من الميول والتعاطف مع الألمان بسبب ما أحرزته ألمانيا من انتصارات جزئية إبان الحرب العالمية الثانية خلعه عن السلطة وجاءوا بـ (محمد رضا) إلى الحكم.

وهنا أنقل لكم مقولة لأحد أتباع النظام لتروا كم كانت هذه التبعية والعمالة مذلة ومهينة.

يقول هذا الشخص: خلال الفترة التي أعقبت طرد رضاخان من إيران حيث لم يحسم موضوع السلطة في إيران، قال السفير الانجليزي للوسيط الذي أرسله محمد رضا للتفاوض في خصوص السلطة والحكم - حسب المعلومات الواصلة إلينا - فإن محمد رضا يستمع إلى إذاعة برلين ويتابع تقدم الألمان من على الخارطة، لذا فهو لا يحظى بثقتنا ولا يمكن الاعتماد عليه. وما أن وصلت رسالة السفير إلى محمد رضا حتى ترك الاستماع إلى إذاعة برلين، وألقى الخارطة جانباً.

عندئذ قال سفير انجلترا: «أما الآن فلا بأس به ويمكن أن ينتخب رئيساً للسلطة».

إنّ نظاماً يقف على رأسه شخص مرتبط بالسفارة الأجنبية إلى هذا الحد من الارتباط والعمالة، بحيث أنهم يشترطون عليه مثل هذه الشروط المحقّرة

والمذلة، وهو يستقبل هذه الشروط ويُمكنهم من نفسه بلا أدنى تردد، إنما يعبر عن عمق المأساة التي كانت تعيشها إيران آنذاك.

وتفيد المذكرات التي كتبها سفراء إنجلترا وأمريكا والتي تم نشرها في اللحظات الأخيرة للنظام البهلوي البائد أنّ هذه التبعية المقيتة إستمرت إلى النهاية، حتى أنّ إنجلترا والتي لم تعد دولة عظمى كانت ومن خلال سفيرها تؤثر وبشكل كبير في وضعية محمد رضا ومصيره وفي اتخاذه للقرارات.

أنظروا كم عانى الشعب الإيراني العظيم من الذل والهوان طوال الخمسين سنة.

وانتصرت الثورة الإسلامية في إيران واجتثت ذلك النظام العميل والمنقاد من جذوره، ورفعت راية الاستقلال عالية خفاقة.

هذا هو البعد الأوّل للثورة، حيث نرى أنّ نظام الجمهورية الإسلامية ذو ثبات واستقرار ويتمتع باستقلال تام وغير منقاد للقوى الأجنبية، ويهتم بمصالح الشعب بالدرجة الأولى.

إنّ هذا الاستقلال أقض مضاجع أعداء الثورة وأعداء النظام الإسلامي وجعلهم يعيشون في دوامة من الاضطراب والقلق، وهم الآن يحاولون تلافي الهزيمة التي مُنوا بها.

الإستكبار وشعاره التسلط على الآخرين

أيها الشعب الإيراني الكريم، إنّ النزعة العدوانية الموجودة لدى القوى الإستكبارية في الاستحواذ على الدول الأخرى والهيمنة عليها لا تختص

بالعصور التاريخية المتصرّمة، بل أنّ هذه القوى إلى اليوم تعيش نزعة التسلّط على الآخرين.

فالقوى العالمية العظمى تبذل قصارى جهدها لتتغلغل في أوساط دول العالم الأخرى لتبسط هيمنتها عليها ولتربط هذه الدول بعجلتها.

قبل أيام رد الرئيس الأمريكي في تصريح له على الذين يرون أنّ أمريكا تتمادى أكثر من اللازم في التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، قائلاً: «نحن إنّما نتدخل في الشؤون الداخلية للدول حفاظاً على مصالح أمريكا»، أي أنّه يصرح علناً بالنزعة التسلّطية وحب السيطرة على الآخرين. إنّ ما يهم هؤلاء بالدرجة الأولى هو تأمين مصالح دولهم، ولتأمين تلك المصالح يرون أنّ لهم الحق في التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، ومن هذا المنطلق فهُم يعتبرون الجمهورية الإسلامية عدواً لهم؛ لأنّها تقف وبقوة أمام هذه الرغبة اللامشروعة، ففي التصريحات التي يطلقونها على الصعيد العالمي يؤكّدون على دعوى: «أنّ إيران تقف بوجه المصالح الأمريكية».

وهنا أقول لهم لو أنكم حصرتم دائرة هذه المصالح في داخل بلدكم، حينئذ لا يعنيننا أمركم، ولو أنكم لا تريدون التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى بما فيها إيران، فلا يهمنا من أمركم شيء، ولكنكم أناس سلطويون تريدون فرض سلطتكم خارج حدود بلادكم، ولذلك تنتهجون اليوم نفس نهج الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر، حين أخذت تجوب العالم للسيطرة على الدول الضعيفة واستعمارها والتلاعب بمقدّراتها.

إنّ ما تسعى إليه أمريكا اليوم هو في الحقيقة نفس ما كانت تسعى إليه الدول المستعمرة في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. الدول الأوروبية آنذاك كانت تتذرع بحاجاتها إلى ثروات الدول الأخرى، واليوم تكرر أمريكا نفس الكلام، حيث صرّح الرئيس الأمريكي أمام نخبة من المسؤولين الحكوميين: إنّنا نتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى لأن مصالحنا تقتضي ذلك، وفي مكان آخر من كلمته هذه يقول: «على الشعب الأمريكي أن يبقى شعباً مكافحاً».

ومن هنا تلاحظون أنّ هذه المصالح ليست مشروعة، وهذا الكفاح ليس كفاحاً من أجل العدالة والسلام، بل هو كفاح من أجل الظلم ومن أجل التلاعب بمقدّرات الآخرين.

ومن المتيقّن أنّ الشعوب الأخرى وقطاعات كبيرة من الشعب الأمريكي ينزعجون ويستأثرون من هذه النزعة الشريرة والعدوانية، وللسبب نفسه فإنّ الشعب الإيراني لا يجد في نفسه أي رغبة للصالح مع أمريكا؛ إعتقاداً منه بأنّ أمريكا دولة عدوانية تريد فرض هيمنتها على الآخرين.

إنّ الشعب الإيراني اليوم لا يرضخ ولن يرضخ لإرادة ورغبات الدول العظمى وخاصة أمريكا في كافة الشؤون وعلى كلا الصعيدين الداخلي والخارجي، سواءً في مواقفه السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية والإعلامية. وينطلق النظام الإسلامي في موقفه المناهض لإرادة القوى العظمى - سيما أمريكا - من صميم روح ثورته الإسلامية العظيمة التي تأبى الانقياد والتبعية، وتسعى من أجل استقلال وعظمة هذا الشعب.

إنّ الأثر الذي تركته الثورة الإسلامية لم يقتصر على داخل إيران فقط، بل امتد ليشمل البشرية جمعاء والأمة الإسلامية على وجه الخصوص، وخلافاً لما تتناقله أجهزة الدعاية والإعلام الاستكبارية، من أن إيران تسعى للتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، فإننا لا نتدخل في أي شأن من الشؤون الداخلية لتلك الدول؛ لأننا لسنا بحاجة إلى ذلك.

ولكي نكون دولة مستقلة وقوية وشعباً شجاعاً مقداماً ومتطوراً لا نحتاج إلى أن نتدخل في الشؤون الداخلية للشعوب والدول الأخرى.

إن الشعب الإيراني شعب مناضل ومكافح؛ وكفاح الشعب الإيراني ضد الظلم والتمييز وفرض الهيمنة لا من أجل التدخل في شؤون البلدان الأخرى. وبناءً على ذلك فإننا عندما نقول:

إنّ لثورتنا بعداً عالمياً ودولياً لا نعني بذلك أنّ الثورة تتدخل في شؤون الدول والشعوب الأخرى، وإنّما نعني بذلك أنّ للثورة الإسلامية رسالة ومبدأً ومنطقاً ونهجاً واضحاً هو بمراي من الشعوب، فإذا ارتضت الشعوب هذه الرسالة وهذا النهج فلها أن تختارهما، ولسنا بصدد فرض رسالة الثورة على أحد، كما أنّ الشعوب التي عرفت نهج الثورة وصممت على السير عليه ليست قليلة.

إذاً البعد العالمي والدولي للثورة إنّما هي القيم المعنوية التي حملتها الثورة الإسلامية إلى العالم الغارق في متاهات المادية.

لقد سعى زعماء المادية وشبكاتهما الأخطبوطية منذ قرنين إلى جرّ العالم باتجاه المادية، وبذلك أغرقوا الشعوب في وحل المادية الأسن.

القيم المعنوية رسالة الثورة الإسلامية

إنّ العالم اليوم في مسيرته التي اختطتها له القوى العظمى يفتقد إلى القيم المعنوية، والسبب في ما نراه في الكثير من الدول، حيث الضياع والتبرّم من الحياة لدى الشباب، وازدياد حالات الانتحار، وتلاشي الأسر؛ يعود بالأساس إلى انعدام القيم المعنوية، فالقيم المعنوية هي الغذاء الروحي للبشرية. فهل من المعقول أن بمقدور الإنسانية أن تعيش حياة هائلة بدون القيم المعنوية لفترة طويلة.

إنّ سبب الأزمات وحالات القلق وعدم الاستقرار التي يشهدها العالم المادي هو إلغاء القيم المعنوية من حياة الناس، والذي قاد عملية الإلغاء هذه هي القوى العظمى، والملاحظ أنّ هناك تناسباً طردياً بين العلم والحضارة المادية من جانب، وبين حالات الضياع والاضطراب والقلق من جانب آخر، حيث ترون أنّ أي مكان يشهد تطوراً علمياً ومادياً أكبر تكون فيه حالات الاضطراب والضياع أشد تفاقماً من غيره، ومن هنا نقول إنّ رسالة الثورة الإسلامية هي ما تحمله من القيم المعنوية والأخلاقية والارتباط باللّه عز وجلّ، وجعل الارتباط باللّه عنصراً أساسياً في حياة البشرية.

فكل مكان وصل إليه إسم ورسالة الثورة واسم الإمام الخميني كان إلى جانبه تبشير بالقيم المعنوية.

إنّ الأثر الذي تركته الثورة الإسلامية في العالم هو القيم المعنوية، وهي رسالة الثورة ورسالة الإمام الخميني الأولى، ذلك الرجل العارف الفقيه، العالم بدين الله، المتعبّد، القائم بالليل المتهجّد بالأسحار. وأما رسالة الثورة الثانية فهي العدالة.

فكل موقع يرتفع فيه نداء المطالبة بالعدالة منسجم مع تطّعات الثورة الإسلامية بل هو جزء منها، وقد أعلنت الثورة أنّها مع كل المتطلّعين إلى الحق والعدالة في العالم. وهناك الكثير من الذين استلهموا الدروس والعبر من الثورة.

هناك جماعات كثيرة ممن يناضلون في سبيل العدالة والحرية، ولدفع الظلم والتمييز العنصري أعلنوا أنهم إنما أخذوا هذا الدرس من ثورتكم، وهذه هي الحقيقة بعينها.

إنّ الرسالة الكبرى للثورة الإسلامية إلى الأمة الإسلامية هي الحفاظ على الهوية الإسلامية والعودة إلى الإسلام ورفد الصحوة الإسلامية.

وقد أدّت الثورة هذه الرسالة بجميع مفرداتها ببركة القيادة الربانية للإمام الخميني، فهو الذي اختط هذه المسيرة، وهو المعلّم الأول والمرشد الأكبر. لقد استطاع الأعداء قبل الثورة أن يسلخوا المسلمين عن هويتهم الإسلامية وأن يبعدهم عن تراثهم ودينهم، فكان المسلم يخجل من قول أنا مسلم، كما عملت الحكومات والدول غير الإسلامية والدول المناهضة للإسلام على خلق أجواء وظروف خاصة جعلت جيل الشباب يجهلون الإسلام ويعتبرونه ديناً يخصّ الأجيال السابقة فقط، فلا يعدو أن يكون تراثاً ليس أكثر، فكانوا يقولون: إنّ الإسلام قد مات وانتهى دوره.

وفي الدول التي يُصطلح عليها بالمتحضرة أيضاً لا يجراً المسلمون على التصريح بهويتهم الإسلامية؛ بسبب الأجواء والظروف - المشحونة بالعداء للإسلام - التي يعيشونها هناك، فتراهم إما أن يتركوا الإسلام بالمرّة، أو أنهم يعملون خفية بتعاليم الإسلام وأوامره.

وأما الدول الإسلامية فهي الأخرى لم تكن بأحسن حال من غيرها. ففي إحدى المؤتمرات العالمية كان رئيس إحدى البلدان الإسلامية يخجل من أن يبدأ كلمته بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» إنهم يعدون ذلك عيباً ورجعية، ويستحون من الإسلام ومن المظاهر الإسلامية، كل هذه الأمور إنما حدثت بفعل المستكبرين الذين كانوا قد تلقوا صفة قوية من الإسلام في بدايات وأواسط عهد الاستعمار، ولذلك أخذوا يبثون روح التهاون واللامبالاة والإهمال بين الناس تجاه الإسلام، وفي إيران أيضاً كان الوضع على هذا المنوال.

من منكم كان يجراً - آنذاك - أن يقيم صلاة الجماعة خارج المساجد؟ ومن يصلي في المطار كان يواجه بالسخرية والاستهزاء، وكذا الحال لمن يريد أن يصلي في إحدى ساحات المدينة أو يريد أن يؤذّن هناك، فإنه يواجه بالسخرية أيضاً، لقد حظروا على الناس آنذاك الإسلام، جعلوا الإسلام ضمن قائمة المحظورات التي لا يجوز تداولها، وفي بعض البلدان كان الأمر بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين أسوأ بكثير مما هو عليه في إيران.

إن الرسالة الكبرى التي حملتها ثورتنا، هي إحياء الهوية الإسلامية للشعوب المسلمة، واليوم فإن المسلمين في كل من أوروبا وآسيا وأمريكا يفتخرون بانتمائهم إلى الإسلام وبحملهم الهوية الإسلامية، ففي قلب أوروبا تعلن بنت محجبة في المرحلة الابتدائية عن اعتزازها بهويتها الإسلامية وعن

فخرها لكونها مسلمة، وتُعلن عن إصرارها على دخول المدرسة بحجابها الإسلامي.

وفي قلب أوروبا أيضاً تطالعنا قصة صمود واستقامة شعب البوسنة والهرسك، ذلك الشعب الذي ظلّ وقيماً لدينه وإسلامه رغم كل الضغوط التي يلاقها، وها هو الآن يدفع - غالباً - ضريبة إسلامه ولكن بكل إصرار وعزم وثبات.

اليوم نرى أنّ رؤساء الدول الإسلامية أخذوا يتظاهرون بالإسلام؛ نتيجة الإقبال الشديد لشعوبهم على الإسلام، فهم مضطرون للتظاهر بالإسلام والتمشيق به.

وإننا اليوم نجد أيضاً رؤساء الدول الاستكبارية ومن أجل كسب ودّ المسلمين يقولون: «نحن لسنا في خلاف مع الإسلام، بل نحن نتفق مع الإسلام». وبالطبع لا يخفى كذبهم على أحد.

إنّ السبب في تظاهرهم بالتودّد إلى الإسلام، يعود إلى أنّ الإسلام في الوقت الراهن بدأ حياة جديدة كلها إقتدار وعظمة وعزة، ولأنّ الحركات الإسلامية في تنامي مطّرد ولأنّ الفكر الإسلامي في الدول الإسلامية أخذ يتطور، حتى يتحقق قوله تعالى (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) إن شاء الله تعالى. وحينئذ ستحبط كل الخطط والمؤامرات التي يحكيها أعداء الإسلام وسيكون مصيرهم الفشل والخسران.

لابدّ وأن سمعتم ما قاله أحد قادة الكيان الصهيوني في لقاء أجري معه: «نحن لا نخشى الجيوش العربية، لكننا نخشى من الأصولية الإسلامية»، وأنا

أقول، نعم هذا صحيح، نحن وإن كنا في خلاف مع العدو الصهيوني في كافة المسائل إلا أننا نتفق معه في هذه النقطة بالذات، وهي أن ما يدخل الرعب والخوف في قلوب الصهاينة هي الصحوة الإسلامية لا غير، وهي العامل الأساس الذي بواسطته تُحرر أرض فلسطين.

إخواني وأخواتي، إن ما يقوله الأعداء من أن أصحاب الثورة هم الذين يصدرّون الثورة حماقة وخطأ فادح، وخطأهم هذا ينشأ من أمرين:

الأول: إنّ الجمهورية الإسلامية ليست بصدّد تصدير أي شيء، وهذا النظام الإسلامي إنّما يعبر عن حقيقة الثورة الإسلامية، حيث أحدث شعبنا هذه الثورة الإسلامية، والجمهورية الإسلامية عبارة عن تجسيد لحقيقة الثورة.

الأمر الثاني: هو أن رسالة الثورة الإسلامية هي رسالة الحرية والصحوة، وكلاهما لا يحتاجان إلى تصدير.

هل يلزم أن يكون هناك من يصدرّ مثل هذه المفاهيم، فالشعوب عندما تواجه حقيقة كانت غافلة عنها، فإنّها سرعان ما تتنبه إلى هذه الحقيقة، وهذا ما حدث بالفعل، حيث شاهدت الشعوب تجربة الجمهورية الإسلامية الناجحة فاستلهمت منها الدروس والعبر. ولا يلزم أن يكون هناك من يقول للشعوب اعملوا بهذه الطريقة أو بتلك، بل ترى الشعوب بنفسها الإنجازات العظيمة التي حققتها الجمهورية الإسلامية والثورة الإسلامية، وتشاهد عظمة وعزة إيران الإسلامية؛ فتستلهم من ذلك الدروس والعبر.

إنّ انتشار الصحوة الإسلامية في العديد من الدول، وانبعاث الروح المعنوية في جميع أنحاء العالم هما من إفرزات الثورة الإسلامية.

وهنا أود أن ألفت انتباه الأخوة والأخوات إلى نقطة مهمة وهي: أنّ الاستكبار العالمي اليوم بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ومن تبعهم من المفسدين والظلمة والطواغيت وكل من يعادي الحق والعدالة توصلوا إلى هذه النتيجة وهي: أنّ مجرد قيام الجمهورية الإسلامية واستقرارها يعتبر أكبر دعم إعلامي للثورة الإسلامية، وهم يعيشون حالة الإنذار القصوى ويحسّون بخطر داهم ما دام نظام الجمهورية الإسلامية قوياً ومستقراً، وما دام في تطور وتقدم مستمر.

إنهم بالدرجة الأولى يحاولون القضاء على الجمهورية الإسلامية إن استطاعوا بالرغم من بأسهم من ذلك؛ لأنهم يدركون جيداً أنّ هذه المحاولات لا تجدي نفعاً.

وبالدرجة الثانية يبذلون قصارى جهدهم للحيلولة دون أن يكون هذا البلد بلداً مستقلاً ومقتدراً.

فمن جهة يحاولون أن ينالوا من استقلال البلد بشتى السبل الممكنة، ويوحون لنا بأننا غير قادرين على القيام بأي شيء دون مساعدتهم، ومن جهة أخرى تراهم يضعون العراقيل والمعوقات؛ ليعيقوا الشعب عن عملية البناء والتنمية، وحتى لا تصبح إيران بلداً نموذجياً ورائداً للبلدان الأخرى. فعليكم - أيها الأخوة والأخوات - أن تحذروا من ذلك^٥.

^٥ مقتطفات من كلمة لسماحة الإمام الخامنّي في تاريخ: ١٣٧٤/٣/١٤ ش. ١٤١٦/١/٥ هـ (الذكرى

مقابلة مع العلامة الشهيد الشيخ مرتضى مطهري حول مسائل النظام والثورة

«توضيح»

هذه مقابلة أجريت مع الأستاذ في اليوم الثاني بعد انتصار الثورة الإسلامية بصورة مباشرة في التلفزيون، وكان الحديث آنئذ ساخناً في الساحة حول هوية النظام الذي سيحكم، والإمام الراحل كان مصراً على «الجمهورية الإسلامية» والأستاذ الشهيد في هذه المقابلة يجيب على الأسئلة التي كانت مطروحة آنئذ حول إمكان أن يكون ثمة انسجام بين «الجمهورية» و «الإسلامية».

وكان الأستاذ الشهيد قد قرّر أن يكمل هذه المقابلة ويغنيها، ثم ينشرها لتجيب بمزيد من التوضيح على الأسئلة، لكنه استشهد قبل أن ينجز ذلك.

- فضيلة الأستاذ! نحن على أبواب إجراء الاستفتاء العام لتعيين النظام الحاكم في إيران، وخلال هذه الأيام يطرح بعض - وخاصة المثقفين - أسئلة فكرية وأيدولوجية تتعلق بمسألة النظام..

نعتنم فرصة لقائنا بكم في هذه الندوة التلفزيونية لنوجه إليكم أهم تلك

الأسئلة:

أبدأ من مفهوم «الجمهورية الإسلامية» وهو مفهوم يبدو غامضاً إلى حد كبير... فالجمهورية تعني إعطاء الشعب حق الحاكمية.. بينما الصفة الإسلامية تقيّد هذه الحاكمية وتحدّها ويبدو أيضاً أنّ مفهوم الجمهورية الإسلامية يتعارض مع مفاهيم الديمقراطية ومفاهيم الجمهورية بمعناها المطلق العام، فهل لكم أن تعطونا صورة واضحة لنظام الجمهورية الإسلامية؟

ج: أعتقد أنّ مفهوم «الجمهورية الإسلامية» واضح لا يحتاج إلى كثير من الشرح والتفصيل. فالمفهوم مركّب من كلمتين: كلمة «الجمهورية» وكلمة «الإسلامية».

كلمة «الجمهورية»: تعيّن شكل الحكومة المقترحة.

وكلمة «الإسلامية»: تحدّد محتوى هذه الحكومة.

تعلم أنّ النّظم التي حكمت في العالم وتحكم الآن متنوعة، منها النظام الفردي الوراثي، كنظام السلطنة والنظام الملكي.. ومنها النظام الارستقراطي كالنظم التي يحكم فيها الفلاسفة والحكماء أو المتخصصون أو الأشراف. ومنها حكومة المتنفذين وأصحاب رؤوس الأموال ودافعي الضرائب.. وغيرها من النظم والحكومات.

حكومة عامة الناس، واحدة أخرى من الحكومات المطروحة على ساحة أنظمة الحكم.. وهي تعني الحكومة التي يتمتع فيها جميع الناس بحق الانتخاب

دون تمايز بينهم في الجنس أو اللون أو العقيدة، والشرط الوحيد في المنتخب هو البلوغ والنضج العقلي لا غير... .

إضافة إلى ذلك، الهيئة الحاكمة المنتخبة تحكم لفترة معينة، وللشعب حق إبقائها أو تغييرها بعد انقضاء تلك الفترة.. وهذا الشكل من أنظمة الحكم هو «الجمهوري»، وهو الشكل المقترح لنظام الحكم في إيران.

أما كلمة «إسلامية»، فتعني كما قلنا تحديد محتوى هذه الحكومة، محتوى هذا الشكل، أي إنّ الناخب حينما يقول نعم للجمهورية الإسلامية، يقترح أن يكون نهج الحكومة قائماً على أصول وتعاليم إسلامية.

الإسلام كما هو واضح، مدرسة فكرية وأيديولوجية وأطروحة لتنظيم الحياة البشرية بجميع أبعادها وشؤونها.

من هذا نفهم أن «الجمهورية الإسلامية» تقوم على أساس نظام يتمتع فيه أفراد الشعب بحق الانتخاب وبحق تغيير الهيئة الحاكمة، وهذا هو شكل النظام.. أمّا المحتوى فإسلامي.

والذين يجدون غموضاً وتناقضاً في كلمة «الجمهورية الإسلامية» قد اختلط عليهم الأمر، وخالوا أنّ ثمة تناقضاً بين حق السيادة وحق الالتزام بمدرسة فكرية عملية في الحياة. هؤلاء ظنّوا أنّ الإنسان الملتزم بخط فكري معين، والمناضل من أجل تطبيق مبادئ هذا الخط في الحياة الاجتماعية، ليس بحرّ ولا ديمقراطي ومن خلال هذه المعادلة الوهمية الخاطئة يستنتجون أنّ الديمقراطية سينتهدها

الخطر؛ إن أضحى النظام إسلامياً وأضحت الجماهير تؤمن بالمبادئ الإسلامية وتطالب بتطبيقها!!

مسألة الجمهورية - كما ذكرت - ترتبط بشكل النظام المؤطر بنوع من الديمقراطية، أي القائم ضمن إطار إعطاء الأفراد حق تقرير المصير، ومفهوم الجمهورية هذا لا يعفي الجماهير من التمسك بخط فكري معين والالتزام بمبادئ مدرسة معينة.

تُرى، هل تعنى الديمقراطية أن يلتزم كل فرد بخط فكري خاص، أو أن يتخلى جميع الأفراد من أي التزام بمدرسة فكرية؟؟!

تُرى، هل الإيمان بمبادئ قائمة على أساس العلم والمنطق والفلسفة، والتسليم لهذه المبادئ يعارض الديمقراطية؟؟!

الأكثرية الساحقة للشعب الإيراني، تؤمن إيماناً راسخاً بمبادئ الإسلام، وليس في هذا الإيمان المطلق ذنب ولا عيب.

لكن العيب أن تسلب هذه الأكثرية القاطعة، من الأقلية غير المؤمنة، حق النقد والمناقشة والاعتراض.

وهل هذه الأقلية الضئيلة المعارضة تتمتع بالحد الكافي من الحرية؟ هذا ما يترك الجواب عليه لأولئك الذين يصرون على أن الديمقراطية ترادف عدم الالتزام بمدرسة فكرية!

– ذكرت أنّ نظام الجمهورية يعنى منح جميع الجماهير حق الحاكمية والسيادة. والسيادة الشعبية من معطيات الثورة الدستورية الإيرانية في مطلع هذا القرن، وطرح مسألة «الجمهورية الإسلامية» بدلاً من «الجمهورية» بشكل مطلق، يؤدّي إلى حكومة طبقة الروحانيين (علماء الدين)، ألا تعتقد أن هذا يؤدّي إلى سلب الجماهير حقها في الحكم والسيادة؟ ألا تعتقد أن من الأفضل، التمسك بالقاعدة القائلة: إن السلطات الحاكمة تنطلق من الشعب، بدلاً من الخوض في بحوث غامضة ترتبط بالحكومة الإسلامية كبحت ولاية الفقيه؟!

ج: أفهم من سؤالك أنك تريد أن تقول: إنّ الشعب الإيراني في ثورته الدستورية، قد نال حق سيادته الشعبية، أي حق انطلاق السلطات التقنينية والتنفيذية والقضائية من الشعب، وليس من المعقول أن تفوض الجماهير هذا الحق لشخص أو أشخاص محدّدين، كما تريد أن تقول أيضاً، إن مفهوم الجمهورية الإسلامية، يعنى حق حاكمية الفقيه – أو استبداد الفقهاء كما يقول بعضهم – وهو مفهوم رجعي معارض لسيادة الشعب.

من أجل أن أجيب على ما تقول، لابد أن أذكر أنّ الشعب الإيراني نال في ثورته الدستورية حق سيادته، لكن هذا الشعب لم يكن يرى أيّ تعارض بين نيّله هذا الحق، والتزامه بالإسلام فكراً وعقيدة وقانوناً ينظم جميع شؤون الحياة. ولهذا نص الدستور الإيراني المدوّن عقب انتصار تلك الثورة، على ضرورة السير في

إطار القوانين الإسلامية، وصرّح بأنّ أيّ قانون يفقد اعتباره القانوني، إذا كان معارضاً لقوانين الإسلام، كما نص الدستور الذي تمخضت عنه الثورة الدستورية الإيرانية على ضرورة وجود خمسة فقهاء في مجلس النواب للإشراف على القوانين.

ولم يكن يخطر على بال رواد الثورة الدستورية، أنّ التمسك بالإسلام والالتزام بالحدود والقوانين الإسلامية يعارض الروح الدستورية والروح الديمقراطية، كما أنهم لم يروا معارضة بين الإسلام وبين قدرة مجلس النواب على التقنين، لأنّ القوانين كانت تسن في إطار المبادئ الإسلامية.

المهم أن يكون الشعب هو المنفذ للقانون الذي آمن به وقبله، سواء كان الشعب هو الذي سن القانون، أو أن يكون قد سنه صاحب مدرسة فكرية أو منظر قانوني، أو أن يكون القانون الذي آمنت به الجماهير قد تلقته عن طريق الوحي الإلهي.

يتضح من هذا أن الصفة الإسلامية للجمهورية، لا تتعارض مع سيادة الشعب أو مع الديمقراطية بشكل عام، الديمقراطية لا تتطلب بالضرورة ابتعاد المجتمع عن كل خط فكري ملتزم.

إننا نرى الأحزاب تتبنّى أيديولوجيات معينة ولا تعتبر هذا التبنّي معارضاً لمبادئ الديمقراطية، لكن المسألة حينما تطرح على الصعيد الإسلامي، يثير بعضهم شكوكاً وتساؤلات حول إمكان انسجام المفهوم الإسلامي مع المفهوم الجمهوري.

أعتقد أنّ هذه الشكوك والشبهات، تطرح من لدن أفراد لا يزالون يؤمنون بديمقراطية القرن الثامن عشر التي تحدّد حقوق الإنسان بإطار مسائل المعيشة والمأكل والمسكن والملبس وحرية انتخاب طريقة المعيشة المادية. هذه الديمقراطية التي تحذف من دائرة الحقوق الإنسانية، مسائل الانتماء الفكري والالتزام المدرسي والتكامل الإنساني والتحرر من سلطة البيئة والغرائز...

أشرت في أسئلتك إلى سلب الجماهير حقها في الحاكمية والسيادة، وهنا لا بد أن أشير إلى حقيقة واضحة كل الوضوح هي: أنّ الأثرية الساحقة للشعب الإيراني حدّدت في شعاراتها ومطالبها نوع النظام الذي تريده. لم يتجه كفاح الشعب الإيراني إلى إزالة التسلط السياسي والاستعمار الاقتصادي حسب، بل اتّجه أيضاً إلى مقارعة الثقافات والأيدولوجيات الغربية، إلى مقارعة التبعية للغرب تحت العناوين المغرية نظير الحرية والديمقراطية والاشتراكية والمدنية والتطور والتقدم وغيرها من العناوين الزائفة التي يلوّح بها الاستعمار وعملاؤه في عالمنا.

إن الملايين من أبناء الشعب الإيراني، حين طالبوا في مظاهراتهم الضخمة الصاخبة بإقامة الجمهورية الإسلامية، قد حدّدوا في الواقع، الإطار الفكري لنظام الحكم الذي يريدونه.

الهوية الوطنية لأيّ شعب من الشعوب تتمثل في التراث الحضاري المتأصل في أعماق هذا الشعب.

وهذه الهوية الوطنية تتمثل لدى جماهير الشعب الإيراني بالإسلام.

الإيرانيون المنفصلون عن الإسلام، هم في الواقع منفصلون عن الروح الحضارية للشعب الإيراني، وعن إرادة هذا الشعب، على الرغم من أنهم يعيشون في كنف هذه الأمة وتحت حمايتها.

لو كانت إرادة الشعب في إقامة الجمهورية الإسلامية تتعارض مع السيادة الشعبية، لكانت الديمقراطية أمراً محالاً، إذ إنّ وجودها يستلزم عدمها.

لا أحد يريد فرض الطابع الإسلامي على النظام الجمهوري المقترح في إيران. فتلك إرادة الشعب نفسه. والثورة في إيران بدأت تتصاعد بسرعة فائقة منذ أن طرح شعار الجمهورية الإسلامية.

مفهوم الجمهورية الإسلامية ينطوي على نفي وإثبات، نفي لنظام حاكم فرض سيطرته خمسة وعشرين قرناً، وإثبات محتوى إسلامي وتوحيدي للنظام المقترح.

طرحتَ في أسئلتك أيضاً، مسألة «ولاية الفقيه»، وهذه المسألة تتضح في ضوء ما ذكرناه. «ولاية الفقيه» لا تعني أن يكون الفقيه على رأس الجهاز الحاكم، وأن يمارس الحكم بنفسه عملياً.

دور الفقيه في البلد الإسلامي - أي في البلد الذي آمن مواطنوه بالإسلام باعتباره مدرسة فكرية متكاملة - هو دور المنظر (ايدولوجيا)، لا دور الحاكم، وواجب المنظر أن يشرف على التنفيذ الصحيح للنظرية، أن يبدي رأيه في صلاحية الأفراد المنفذين للدستور، وفي صلاحية رئيس الجمهورية، وفي جميع الأعمال التي تتعلق بتطبيق النظرية الإسلامية.

لم يكن ثوار الحركة الدستورية وأنصارها في إيران تلك الأيام، ولا الشعب الثائر المسلم اليوم، يرون في الفقيه حاكماً ينبغي أن يتقلد زمام الأمور، ويمارس الإدارة والحكم. بل كانوا يرون فيه الشخص الذي ينبغي أن يبدي وجهة نظره في صلاحية الحاكم المنفذ للقوانين الإسلامية، باعتبار أن أبناء المجتمع الإسلامي يرتبطون بالمدرسة الإسلامية.

من هنا جاء في الحكم الصادر من الإمام إلى رئيس وزراء الدولة الموقته: إنني أعين رئيس الحكومة، استناداً إلى الحق الشرعي (ولاية الفقيه)، واعتماداً على الثقة التي أولتني بها الأغلبية الساحقة للشعب الإيراني.

«ولاية الفقيه»، ولاية إيديولوجية. والفقيه منتخب من قِبَل الجماهير، وهذا عين الديمقراطية.

لو كان الفقيه منصوباً من قِبَل فقيه سابق، لو كانت السنّة أن يعين كلُّ فقيه خلفه لأمكن القول، إن هذه السنّة مخالفة للديمقراطية. لكن المواطنين أنفسهم هم الذين ينتخبون هذا المشرف على تطبيق القوانين.

الحق الشرعي للإمام ينطلق من انتماء أغلبية الشعب الساحقة للإسلام باعتباره مدرسة فكرية شاملة، وهذه الأغلبية، تعطي رأيها فيمن يشرف على التطبيق والمطبقين.

أشرت في أسئلتك إلى حكومة طبقة رجال الدين، وفي عبارتك خلط بين الحكومة الإسلامية، وحكومة رجال الدين. كيف استنتجت من مفهوم الجمهورية الإسلامية، مفهوم حكومة رجال الدين؟ هل الإسلام دين طبقة رجال

الدين؟ هل الإسلام إيديولوجية رجال الدين؟ هل إن مثقفينا حقاً يفهمون الجمهورية الإسلامية أنها حكومة علماء الدين وأنها حكومة يتولى فيها علماء الدين كل مناصب الدولة؟!

إذا كان فهمهم كذلك، فهو غريب للغاية، وإن كانوا يفهمون الحقيقة لكنهم يصرون على تزويرها وتحريفها، فهو مؤسف للغاية.

إن تلميذ الابتدائية في إيران، يفهم اليوم أن الجمهورية الإسلامية تعنى المجتمع الإسلامي، والمجتمع التوحيدي القائم على أساس تصور إسلامي للكون والحياة.

كل من له أدنى اطلاع على المفاهيم الإسلامية، يعلم أن التصور الإسلامي ينطوي على أيديولوجية توحيدية يعبر عنها بالتوحيد العملي، وتعنى بلوغ الإنسان درجة التوحيد الأخلاقي والتوحيد الاجتماعي.

دأب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يتوج رسائله إلى الشخصيات العالمية بالآية الكريمة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾^٦.

وجملة: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ تعنى التوحيد النظري.

وجملة: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ تعنى التوحيد العملي الفردي.

^٦ سورة آل عمران، الآية: ٦٣.

وعبارة: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ تؤكد التوحيد العملي الاجتماعي، المقارن للحرية والديمقراطية بأعمق أشكالهما.

أين هذا المفهوم العميق للمجتمع الإسلامي، من مفهوم حكومة رجال الدين؟! إنه بعيد عنه كل البعد.

يعتقد بعضهم أن إطلاق لفظ الجمهورية الإسلامية ينفى الصفة الطبقيّة على المجتمع.

بينما الاكتفاء بلفظ الجمهورية ينفي هذه الصفة. وهذا الاعتقاد الخاطيء، كما قلنا ناشئ عن فهم خاطيء لوظيفة الروحانيين (علماء الدين) في المجتمع الإسلامي.

ولابد أن أوكد في اختتام إجابتي على سؤالك، أن لفظ الجمهورية وحده لا يمكن أن يكون منطلق تحوّل واقعي في المجتمع. كما أن إضافة صفة إلى كلمة الجمهورية لا يؤدي بالضرورة إلى تناقض بين الصفة والموصوف، بل ينبغي البحث أولاً في محتوى هذه الصفة، والصفة الإسلامية لا تتناقض مع الجمهورية، ولا تؤدي إلى تسلط طبقة معينة في المجتمع الإسلامي.

- من المعلوم أنّ الأوضاع الاجتماعية في حالة تطور وتبدل، فكيف يستطيع نظام الجمهورية الإسلامية أن يحلّ المسائل المتطورة المعقدة للمجتمع في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من المجالات؟

هل إن الجمهورية الإسلامية، ستطبق القوانين والقواعد التي جاء بها الإسلام قبل أربعة عشر قرناً؟ هل أن هذه القوانين والقواعد القديمة، قادرة على مواجهة المسائل الراهنة؟

ج: تطوّر الزمن، وثبات الأحكام الإسلامية، يثيران دوماً هذه الشبهة التي ذكرتها، كيف يمكن أن ينسجم هذا الثبات مع ذاك المتطور.
مسألة تطور الزمن، حقيقة ثابتة لا شك فيها، لكن هذه الحقيقة تنطوي على مسألة يغفل عنها البعض.

المسيرة التي يطويها الفرد الإنساني والمجتمع الإنساني، تشبه مسيرة قافلة متحركة سائرة متنقلة من محطة إلى أخرى. هذه القافلة، لا تبقى ساكنة وثابتة في محطة معينة، بل تستمر في السير مغيّرة محطاتها، لكنّها لا تغير طريق سيرها في هذا التنقل.

القافلة متحركة، لا ينبغي لها أن تقف في نقطة معينة من طريقها، لكن الطريق الذي تطويه نحو هدفها واحد.

الفرد والمجتمع لا يمكن أن يكونا ساكنين ولا ينبغي أن يمكثا في نقطة معينة من المسير. فذلك معارض لقانون الطبيعة، لكن مسير التكامل للفرد والمجتمع واحد لا يتغير.

تُرى هل من الضروري أن يغيّر الفرد والمجتمع طريقهما التكاملي في كل مرحلة من مراحل حياتهما؟

هل من اللازم أن ينتخبا في كل مرحلة طريقاً جديداً وهدفاً جديداً؟ كلا..
المسيرة التكاملية للبشر خط ثابت، يشبه مدار النجوم.

الحركة مستمرة، والمدار ثابت، هل نستطيع أن نعتبر النجوم ثابتة ساكنة لأنها
تتحرك على مدار ثابت واحد؟ كلا طبعاً، حركة النجوم لا تستلزم تغيير المدار
باستمرار.

هذه المسألة تطرح بنفس الشكل على صعيد حركة الإنسان والمجتمع.
مستلزمات الحياة الإنسانية ومظاهر المدنية تتطور باستمرار، ولكن تُرى، هل
إن إنسانية الإنسان والقيم الإنسانية، والكمال الإنساني هي الأخرى حقائق متغيرة
متبدلة؟!

هل أن الموازين الإنسانية التي نؤمن بها اليوم، هي غير الموازين التي كانت
يؤمن بها أجدادنا وغير الموازين التي سيؤمن بها أحفادنا؟!

هل سيأتي يوم تعتبر فيه البشرية «تشومبي» و«معاوية» مثلاً للإنسانية، وتعتبر
«لوموبا» و«أبوذر» مثلاً لأعداء الإنسانية؟ هذا مستحيل.

الإنسان - كما قلنا - غير ثابت، لكن مداره ثابت، ومن هنا فهو يمتلك معايير
هي بمثابة دلالات كي لا يضل الطريق، فكما أن المسافر يحتاج إلى علامات
ودلالات كي لا يضل الطريق كذلك الإنسان بحاجة إلى معايير ثابتة يهتدي بها
في مسيره.

أوضحت في كتاب «حقوق المرأة في الإسلام» مسألة الإسلام والتطور،
وكيف يواجه الإسلام متطلبات الحياة المتطورة.

ذكرت هناك أن «نوع» الإنسان لم يتغير منذ أن ظهر على الأرض، وعدم تبدل الموجود البشري من نوع إلى آخر لا يعني ثبات هذا الموجود في نقطه معينة، بل إنه طوى ولا يزال يطوي مسيرته التكاملية. لكن قانون الخلقة يبدو قد نقل مهمة التكامل من مرحلة الجسم وأعضاء البدن إلى مرحلة النفس والروح والمجتمع.

لو أن تغيراً طرأ على النوع الإنساني لاستلزم تغيراً في القوانين التي تتحكم فيه.. لكن ثبات النوع الإنساني خلال المراحل التاريخية الأخيرة - على الأقل - يتطلب بالضرورة مجموعة مبادئ ثابتة ترتبط بطبيعة الإنسان وكماله، على أن الإنسان يحتاج أيضاً إلى قوانين متغيرة تسد احتياجاته المتطورة خلال انتقاله من محطة إلى أخرى، أو من مرحلة إلى أخرى في مسيرته التكاملية.

الإنسان يحتاج إذن إلى قوانين ومبادئ ثابتة ترتبط بحركته المدارية، وإلى قوانين متغيرة ترتبط بتنقله المرحلي.

أحكام الإسلام موضوعة لحركة الإنسان المدارية الثابتة، لا المرحلية المتغيرة، غير أن الإسلام أعدّ المقدمات والتمهيدات والأطر اللازمة لسد احتياجات الإنسان المتغيرة.

شرحت في كتابي المذكور خصائص القوانين الثابتة والمتغيرة في الإسلام بذكر بعض الأمثلة. أمر الله تعالى الجماعة المسلمة أن تعد نفسها دفاعياً إلى المستوى الذي يخشاها فيه الأعداء: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^٧.

^٧ سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

هذه الآية تحدد واحداً من المبادئ الاجتماعية الإسلامية، وهو مبدأ ثابت لا يتغير، وضرورته قائمة في الماضي والحاضر والمستقبل.

التطبيق العملي لهذا المبدأ ينعكس في السنة النبوية بشكل حثّ من الرسول القائد على السبق والرماية، واشترك الرسول بنفسه في هذه العمليات والمسابقات، والفقهاء الإسلامي أوصى بالسبق والرماية أيضاً انطلاقاً من السنة النبوية. لكن هذا الحكم الفقهي لم يعد له مصداق حالياً، إذ إن زمانه قد مضى وليس من الضروري القيام بتلك العمليات اليوم بنفس النية السابقة.

مبدأ (وأعدّوا لهم...) (يرتبط بمدار حركة الإنسانية، والسبق والرماية ليس لهما أصالة، بل يرتبطان بمرحلة معينة من مراحل المسير، وفي مرحلتنا الراهنة ينبغي للمجموعة المسلمة أن تنفذ هذا المبدأ بشكل يتناسب مع ظروف هذه المرحلة ومتطلباتها.

ومثال آخر يرتبط بمبدأ تبادل الثروة بين المسلمين أوضحته الآية الكريمة:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾^١.

هذه الآية تنص على أنّ تبادل الثروة ينبغي أن يتخذ شكلاً مفيداً من الناحية الاجتماعية، وأن يتجه نحو الاحتياجات الأساسية للمجتمع.

لو أراد شخص أن يشتري بماله الذي اكتسبه عن طريق عمل مثمر شيئاً لا فائدة فيه، كأن يشتري كيساً مملوءاً بالحشرات الميتة، فإن هذه الصفقة باطلة في نظر القرآن.

^١ سورة البقرة، الآية ١٨٨.

ولو استطاع العلم في تطوره أن يستفيد من هذه الحشرات، فإن عملية البيع تصبح صحيحة بعد أن كانت باطلة ومحرمة من قبل.

الفقيه، هو الذي يعين المصداق الواقعي للحكم الذي تنص عليه الآية في كل زمان، وبموجب هذا التشخيص يفتي بجواز هذه المعاملة وببطلان تلك.

الفقهاء واجهوا مسألة شبيهة بالمسألة السابقة ترتبط ببيع «الدم» وشرائه. لقد كانت معاملة بيع الدم وشرائه باطلة في الماضي، يوم كان الدم مادة لا نفع فيها ولا فائدة، إذ هي من نوع أكل المال بالباطل. واليوم فقد أضحى الدم - على أثر تطور العلم - مادة حياتية، ولم تعد المعاملة عليه تنطبق على أكل المال بالباطل. فالحكم الجزئي هنا قد تغير بتغير المصداق، لكن الحكم الكلي باق لا يتغير.

الاجتهاد ينهض بالدور الأساسي في تطبيق الأحكام الكلية على المصداق الجديدة وواجب الفقيه أن يدرس المسائل الجزئية المتغيرة بتغير الزمان في إطار الأحكام الكلية الثابتة التي جاء بها الوحي، ويخرج من دراسته بالأحكام الفقهية المناسبة.

- لقد أوضحت في حديثك أنّ النظام الإسلامي، يقوم على أساس المبادئ العامة المستمدة من الوحي. والمسألة المطروحة بشكل حاد على الساحة الفكرية اليوم، هي أنّ النظام الأصلاح للبشرية يمكن إيجاده عن طريق تركيب بين الديمقراطية والاشتراكية.

ونحن باعتبارنا شرقيين مسلمين، نستطيع أن نشري النظام الديمقراطي الاشتراكي عن طريق تصحيحه بقيم أخلاقية مستمدة من تراثنا الإسلامي فما هو رأيكم بهذه الأطروحة؟

ج - بين الديمقراطية والاشتراكية، نوع من التناقض وعدم الانسجام، ولم تنجح - حتى الآن - المحاولات الرامية إلى الجمع بينهما.

الديمقراطية، تقوم على أساس أصالة الفرد وحقوق الفرد وحرية الفرد، بينما تقوم الاشتراكية على أساس أصالة المجموع وتقديم حق المجتمع على حق الفرد.

في عالمنا اليوم ترفع بعض البلدان شعار الديمقراطية، وبعضها يرفع شعار الاشتراكية، لكن ذوي التفكير الجادّ البعيد عن الشعارات يذهبون إلى زيف ادعاءات الديمقراطية التي يتبجح بها ما يسمى بالعالم الحرّ. وكذلك زيف الاشتراكية التي يدّعيها القطب الآخر.

ويبلغ هذا الزيف ذروته حين تدّعي بعض البلدان انتهاجها نظاماً اشتراكياً ديمقراطياً.

مسألة التناقض بين الاشتراكية والديمقراطية، والاتجاه نحو أحدهما أو محاولة الجمع بينهما، تطرح على الصعيد الفلسفي تحت عنوان: «أصالة الجمع أو أصالة الفرد».

أتباع هذين الاتجاهين، يسعون إلى الإجابة على هذا السؤال: هل الفرد يختص بالأصالة والعينية، والمجموع وجود عرضي واعتباري؟ أم إنَّ الفرد يفتقد الأصالة، وعلم الاجتماع مقدم على علم النفس؟؟

إذا كان الجواب على الشرط الأول من السؤال إيجابياً، فيعني أن كل من ما يمتلكه الإنسان من أفكار ومشاعر وآمال، إنما هي انعكاس عن الروح الاجتماعية المهيمنة، والموجود فعلا هو المجتمع لا الفرد. والأولوية في هذه الحالة للاشتركية.

وهل هناك فرع ثالث لهذه المدرسة يتجه إلى تركيب الفرد والمجتمع تركيباً يمنح الفرد والمجتمع كلاهما أصالة وشخصية؟ هذه مسألة فلسفية دقيقة، يدرس فلاسفتنا نظيرها في باب الوحدة والكثرة، ولا مجال ل طرحها الآن.

ومسألة القيم الخلقية التي أشرت إليها، هي أهم المسائل المطروحة أمام الباحثين عن النظام الأفضل. هؤلاء الذين يحاولون الجمع بين الديمقراطية والاشتركية يحسّون أن أطروحتهم بحاجة إلى قيم أخلاقية، والقيم الخلقية بحاجة إلى الجو الخلقى والروحي، فكيف يمكن خلق مثل هذا الجو؟ وما هي ضمانات تطبيق القيم الخلقية؟

بعض الباحثين في الأنظمة الوضعية، يحاول الفصل بين الدين والقيم الخلقية، في محاولة لإيجاد نظام أرضي أخلاقي، وهؤلاء يحاولون البحث عن مثل خلقية بدون دين، زاعمين أن هذه المثل، تستطيع أن تجمع أفراد البشر على سعيد إنساني واحد مشترك دون تمايز مذهبي أو عنصري، بينما الدين يؤدي إلى إثارة

عصبية ومناحرات بين أتباعه وغيرهم، وهذه العصبية تتناقض مع سلامة الروح ومع الجو الخلقى الذي ينبغي أن يسود في المجتمع.

وهذه دعوة أتباع المذهب الإنساني أو (الأومانية) التي تنادي بعالم خلقي روحي خال من الدين.

أتباع هذه الدعوة، خالوا أن الأجواء الخلقية يمكن خلقها عن طرق إطلاق الشعارات الإنسانية وحبك مبادئ الأومانية!!

شعارات الاومانية أثبتت زيفها وخواءها على الصعيد العملي، وموقف جان بول سارتر - داعية الاومانية في عصرنا - من إسرائيل، ذلك الموقف المتعاطف المؤيد، أفضل شاهد على هذا الزيف والخواء.

ثمة مجموعة أخرى، حاولت أن تطعم أطروحتها في حقل النظام، بجوانب أخلاقية وإنسانية عرفانية، وسعت أن تقتبس من الجانب العرفاني للأديان التعاليم الأخلاقية، تاركة تصورات الأديان ومحتواها الإيديولوجي.

وهنا ينبغي أنؤكد أن الالتزام بالجانب الخلقى للأديان وترك جوانبها الأخرى، لا يمكن على الإطلاق في الإطار الإسلامي، إن أمكن تنفيذه في إطار الأديان الأخرى. عملية فصل الجانب الخلقى عن جوانب الإسلام الأخرى مثله للإسلام، ومسوخ له فالإسلام أطروحة منسجمة مترابطة لكل جوانب الحياة.

بالنسبة لما أشرت إليه في حديثك حول حاجة البشرية إلى النظام الأصلح، أكتفي بذكر عبارة قالها «إقبال»: «البشرية تحتاج اليوم ثلاثة أمور: إلى تفسير

روحي للعالم، والى حرية روحية للفرد، والى مبادئ أساسية ذات مفعول عالمي تدفع المسيرة البشرية نحو التكامل على أساس روعي».

وإقبال في عبارته هذه يؤكد على حاجة البشرية إلى نظرية إلهية للكون والحياة.. والى ديمقراطية واقعية حقيقية، والى نظام شامل يقوم على أساس تلك النظرة الإلهية، ويعين للبشرية طريقها التكاملي في جميع جوانب الحياة. ثم يستمر إقبال في حديثه على هذا النحو:

«مثالية أوربا لم تدخل الحياة الاجتماعية بشكل عامل حيوي، ونتج عن ذلك الإنسان الحائر بين الديمقراطيات المتضاربة وهو يبحث عن ذاته، حيث اتجهت تلك الديمقراطيات نحو استثمار الفقراء لصالح الأغنياء..».

«ومن جهة أخرى، يمتلك المسلمون أفكاراً ومعتقدات متسامية متكاملة تقوم على أساس الوحي. وهذه الأفكار والمعتقدات تنطلق من أعماق الحياة لتضفي على ظواهر الحياة صفة باطنية. الإنسان المسلم يؤمن بالأساس الروحي للحياة كأمر اعتقادي، وهو على استعداد لأن يبذل روحه رخيصة في سبيل هذا الاعتقاد»^(٩).

^٩ إحياء الفكر الديني في الإسلام، إقبال اللاهوري، ص: ٢٠٣ - ٢٠٤ من الترجمة الفارسية.

– أعلن الإمام الخميني في إحدى خطبه: إنني أدلي صوتي «للجمهورية الإسلامية» لا كلمة أكثر، ولا كلمة أقل. ويبدو أنّ الإمام يقصد الصفة الإسلامية في عبارته «لا كلمة أقل»، وأوضح في حديثك أن هذه الصفة توضح محتوى نظام المستقبل، أما ما يقصده الإمام من عبارة «لا كلمة أكثر»، فهو – على ما يظهر – كلمة الديمقراطية، فقد تردّدت على الألسن هذه الأيام عبارة الجمهورية الإسلامية الديمقراطية وتأكيد الإمام على حذف كلمة الديمقراطية قد يستهدف توضيح الفرق بين الديمقراطية الغربية والحريات الإسلامية.. نرجو أن تعطينا فكرة واضحة عن سبب حذف كلمة الديمقراطية.

ج- لا أستطيع أن أدّعي القدرة على توضيح جميع الجوانب التي ينطلق منها الإمام في حديثه، فأكتفي بتوضيح بعض الجوانب التي توصلت إليها، والتي أعلم أنها رأي الإمام أيضاً في هذا المجال.

الحرية الفردية والديمقراطية موجودتان – كما تعلم – في الإسلام مع فارق بين النظرة الإسلامية والنظرة الغربية لمفاهيم الحرية والديمقراطية كما سنوضح ذلك.

من هنا نفهم أن إضافة كلمة «الديمقراطية» إلى (الجمهورية الإسلامية) تحشية زائدة.

عبارة: «الجمهورية الإسلامية الديمقراطية» تعني أن النظام يستند إلى أساسين: الإسلام والديمقراطية، وهذه الازدواجية قد توهم أن الحريات الفردية

والديمقراطية التي سيتمتع بها الأفراد في ظل نظام الجمهورية الإسلامية، منبثقة من الصفة الديمقراطية، لا الإسلامية.

وقد يفهم من هذه الازدواجية، أن الحريات والحقوق الفرديّة والديمقراطية تنبثق من الأساس الديمقراطي للنظام، لا من الأساس الإسلامي. بينما أحكام العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية تنبثق من الأساس الإسلامي للنظام. نحن نريد أن نؤكد على خلاف ذلك.

والسبب واضح:

أولاً) لأن الصفة الإسلامية تنطوي على الحريات الفردية والديمقراطية. ثانياً) لأن الحريات الديمقراطية بمفاهيمها الغربية تختلف اختلافاً جذرياً مع مفاهيم الحريات الإسلامية. وهذا الاختلاف الجذري، لا يمكن أن نتجاهله في بناء مجتمعنا الإسلامي.

حول منشأ الحريات والحقوق الفردية قيل: إنّ الإنسان خلق حراً وينبغي أن يعيش حراً. وبشأن جذور هذه القضية، وسبب عدم صدقها على البهائم مثلاً، تختلف وجهات النظر. الفلسفة الغربية تذهب إلى أنّ الحرية ناشئة من رغبات الإنسان وميوله. وهذه الفلسفة لا تفرق بين «إرادة» الإنسان و«ميوله». وتنظر إلى الفرد باعتباره موجوداً ذا ميول ورغبات. وهذه الميول والرغبات هي منشأ حرية الفرد في ظل النظام الذي يريده. حرية الفرد لا يحدّها شيء - في نظر فلاسفة الغرب - سوى حرية رغبات الآخرين. ولا يمكن لأية أطر وموازن أخرى أن تحدّ حرية الإنسان وميوله.

الحرية بهذا المعنى المشهور في الغرب هي أساس الديمقراطيات الغربية، وهي ليست في الواقع سوى نوع من الحيوانية مطلقة العنان.

التفسير الغربي لمنشأ الحرية، لا يستطيع أن يميّز بين حرية الإنسان وحرية الحيوان. الوجود البشري مع حيوانيته إنسان ومع إنسانيته حيوان.

الكائن البشري يتمتع بملكات سامية هي ملاك إنسانيته ومن مظاهر هذه الملكات، التفكير المنطقي (لا كل ما يسمّى تفكير)، والميول السامية (كالميل نحو اكتشاف الحقائق، ونحو الخير الخلفي، ونحو الجمال ونحو عبادة الحق...).

الكائن البشري، موجود تنطوي طبيعته على قطبين متناقضين هما العقل والنفس، أو الروح والجسم، ومن المستحيل أن يستطيع الإنسان الانطلاق بحرية تامة على كلا الخطين المتناقضين. التقدم على أحد الخطين يؤدي بالضرورة إلى تحديد الانطلاق الحرّ على الخط الآخر.

لو اعتبرنا ميول الإنسان ورغباته، أساس الحرية ومنشأها لنتج عن ذلك ما هو مشهور اليوم في مهد الديمقراطيات الغربية، حيث توضع القوانين استناداً إلى رأي الأكثرية.

انطلاقاً من هذا الأساس، واحتراماً للديمقراطية ورأي الأكثرية، يضحى الشذوذ الجنسي قانونياً هناك، الدليل الوحيد لمشروعية هذا العمل المنحط هو رأي الأكثرية، فمادامت أكثرية الشعب دلت عملياً على موافقتها على الشذوذ الجنسي، فإن هذا العمل يضحى قانونياً بحكم الديمقراطية.

لو طرحنا على حماة الديمقراطية الغربية هذا السؤال: أليس للإنسان صراط مستقيم يؤدي به إلى التكامل الروحي؟ إذا كان جوابهم إيجابياً لاستلزم أن يقبلوا ضرورة وجود مراقبة وتوجيه لصيانة الإنسان من الانحراف عن هذا الصراط المستقيم.. ولكن جوابهم سلبي، أي إنهم يرفضون وجود مثل هذا الصراط، ويعتبرون ميول الإنسان ورغباته هي التي تحدد معالم مسيرته . هؤلاء يتبعون نظرية (جحا) الذي قيل له: أين تذهب؟ أجاب: إلى حيث شاءت بغلتي.

والمجتمع القائم على أساس موازين الديمقراطية الغربية، يتجه إلى حيث شاءت رغبات الأكثرية وميولها.

الديمقراطية الإسلامية تقع في النقطة المقابلة لهذا النوع من الديمقراطية والحرية.

الديمقراطية الإسلامية تقوم على أساس حرية الإنسان. لكن هذه الحرية لا تعني إطلاق عنان شهوات الإنسان، بل تعني كسر جميع القيود والأغلال التي تحد الإنسان من الانطلاق على طريق إنسانيته، مع تأطير وتحديد لدوافعه الحيوانية. وهنا لا بد أنؤكد أن الإسلام ليس بدين كبح الشهوات وإماتها، بل دين تأطير الشهوات وتنظيمها والسيطرة عليها، وهذه مسألة واضحة لا تحتاج إلى تفصيل.

لأضرب مثلاً على الفرق بين الحرية في مفهوم الديمقراطية الغربية والحرية في المفهوم الإسلامي، وأترك الحكم لك كي ترى أيّ الحريتين هي الواقعية والحقيقية.

يذكر التاريخ أنّ الملك «كورش» - مؤسس أوّل إمبراطورية إيرانية - حين فتح بابل، ترك أهلها أحراراً في عقائدهم وعباداتهم. ترك عبدة الأوثان يلوذون بأصنامهم وعبدة الحيوانات يتمسحون بأنصابتهم، دون أن يفرض عليهم أيّ حدود أو قيود.

وكورش هذا يعتبر في معيار الغرب أحد رواد الحرية في التاريخ. إذ إنه احترم ميول الناس ورغباتهم.

والتاريخ ذكر لنا أيضاً موقف «إبراهيم الخليل» من معتقدات شعبه.

كان إبراهيم يرى في هذه المعتقدات المنحطة قيوداً وسلاسل تكبّل الأفراد. وما كان موقفه تجاه معتقدات قومه، موقف عدم الاحترام فحسب، بل موقف المحطم للأصنام والآلهة الكاذبة، وموقف المنبّه لهم بزيف هذه الأصنام وخواتمها حين عمد إلى وضع الفأس في عنق كبير الأصنام.

عمل إبراهيم - في معيار الديمقراطية الغربية - عمل عدواني مخالف لمبادئ الحرية. إذ إن إبراهيم كان ينبغي أن يدع قومه أحراراً فيما يعبدون ويعتقدون. غير أن منطق الأنبياء يختلف عن منطق الإنسان الغربي المعاصر.

خذ مثلاً آخر من عمل النبي (ص) حين ورد مكة، هل كان موقفه كموقف كورش؟ هل ترك أهل مكة يلوذون «بلاتهم» و«هبلهم» ويعكفون على أصنامهم؟ هل ترك الناس ونشاطاتهم ليتتهجوا أي طريق يشاؤون؟ أم إنه عمد إلى تحطيم الأصنام ليحرّرهم من إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وليهب لهم الحرية الحقيقية؟

الحرية والديمقراطية تقومان - في نظر الإسلام - على أساس ما يفرضه التكامل الإنساني للموجود البشري. الحرية حق للإنسان بما هو إنسان، حق منبثق من المؤهلات الإنسانية للإنسان، لا من ميوله وأهوائه.

الديمقراطية - في نظر الإسلام - تعنى الإنسانية المنطلقة، بينما تعني - في قاموس الغرب - حيوانية منطلقة.

وثمة سبب آخر لتأكيد الإمام علي حذف كلمة الديمقراطية من تسمية النظام المقترح في إيران، هو رفض التقليد الأعمى للموازين الغربية.

الإمام لا يريد لشعبه أن ينبهر بالغرب ويلهث وراء فتات حضارته.

فهذا يؤدي في النهاية إلى ضعف معنويات الشعب والى سقوطه.

الإمام يعتقد أن استعمال كلمة الديمقراطية في تسمية النظام خيانة لروح الاستقلال لهذا الشعب، إذ إن تراثنا ينطوي على جوهر الحرية، ولا حاجة لأن نمدّ يد التكدّي إلى الآخرين.

- كيف تفسّرون ثورة إيران؟ ما هي الخصائص التي تمتاز بها هذه الثورة؟
ماذا تعنى الصفة الإسلامية للثورة؟

ج: (١٠). السؤال المطروح على صعيد الثورات الاجتماعية: هو هل إنّ الثورات ذات ماهيات مختلفة، أم إنّ أشكالها ومظاهرها هي المختلفة، وماهياتها واحدة. ثمة اتجاهان مختلفان في الإجابة على هذا السؤال.

الاتجاه الأول: يرى أن جميع الثورات ذات مبدأ واحد ومنطلق واحد، وهو عبارة عن انقسام المجتمع إلى طبقتين مرفهة ومحرومة، مستثمرة ومستثمرة. وهذا الانقسام الطبقي يعود بدوره إلى وسائل الإنتاج، وإلى علاقات التوزيع والإنتاج.

^{١٠} يشرح الأستاذ الشهيد في مقدمة إجابته المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة «انقلاب» التي تستعمل في معنى «الثورة» باللغة الفارسية.

فالمعنى اللغوي ينطوي على جانبين: سلبى جاء في الآية الكريمة: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) (آل عمران / ١٤٤).

وإيجابى ورد في الآية: (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل).. (آل عمران / ١٤٧).

أما في الاصطلاح، فقد اتخذت الكلمة في الفقه والفلسفة وعلم الاجتماع معاني مختلفة.

ثم يذكر الأستاذ أن «الانقلاب» فردي واجتماعي. والفردى: حيوانى وإنسانى، كالتغيير الفجائى الذى حصل فى نفس بعض الأفراد لينتج عنه اندفاعاً محموماً وراء طلب الجاه والشهرة والاستزادة من الشهوات، وكالحب باعتباره تغييراً فى المحتوى الداخلى للأفراد، وكالتوبة باعتبارها ثورة ضد الذات المنحرفة الظالمة.. ثورة النزعة المتسامية ضد نزعة الهبوط والانحدار.

ثم يبدأ بالحديث عن «الانقلاب» الاجتماعى، وهنا تدور الإجابة عن معنى «الثورة» بالذات.. ولما كان حديث الأستاذ عن كلمة «انقلاب» فى هذا المجال يختص باللغة الفارسية، فقد أثرنا عدم ترجمته إلى القارئ العربى.

وهذا الاتجاه يرى جميع ما في المجتمع من دين وفن وفلسفة إنما هو مرتبط بوسائل الإنتاج، وتتطور هذه الوسائل.

الاتجاه الثاني: يذهب إلى أنّ الثورات ذات ماهيات مختلفة، ويرفض أن تكون جميع الثورات الاجتماعية ناشئة عن التناقض الطبقي في الإطار الاقتصادي. ويرفض أن تكون قيادة الثورات دوماً بيد الطبقة المحرومة اقتصادياً، بل يعطي هذا الاتجاه دوراً أساسياً لطبيعة الإنسان المنطوية على قطبين متناقضين، ويعتقد أن انقسام المجتمع إلى قطبين متصارعين ناشئ عن القطبين المتصارعين في النفس الإنسانية.

كما أن الاتجاه الثاني - مع إيمانه بالتأثير المتبادل بين المرافق الاجتماعية - يرفض أن يكون تأثير أحد هذه المرافق قادراً على الوقوف بوجه تطور سائر المرافق الأخرى، أي إن المجتمع قد يمّر بمرحلة تاريخية متطورة جداً من الناحية الدينية أو الخلقية أو الفلسفية مع تأخره في الناحية التكنولوجية. وهذه المسألة ترتبط بالظروف الجغرافية والوراثية من جهة، وبالبعد الإلهي والمعنوي للتاريخ من جهة أخرى.

في كتابنا «نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ» أطلقنا على الاتجاه الأول اسم «الاتجاه الآلي» وعلى الاتجاه الثاني اسم «الاتجاه الفطري، أو الإنساني».

استناداً إلى الاتجاه الثاني:

أولاً) الجانب النفسي مقدّم على الجانب الاجتماعي.

ثانياً) الإنسان ينطوي في خلقته على قطبين متصارعين.

ثالثاً) الإنسان موجود مختار ذو إرادة حرة، وصفة الاختيار والحرية هي التي تميّز بين أفراد البشر.

رابعاً) المرافق الاجتماعية للإنسان تتمتع بنوع من الاستقلال. وليس لأحدها تقدم وأولوية مطلقة على المرافق الأخرى.

وقد يؤدي أحياناً تطور أحد هذه المرافق إلى انحطاط الآخر.

وفي هوامش الجزء الخامس من كتاب «أصول فلسفه وروش رئاليسم»^(١). ذكرت، حيث تحدثت عن «فطرة البحث عن الله»، أن الانغماس في إشباع غريزة معينة قد يؤدي إلى تأخير غريزة أخرى.

ومن هنا فلا عجب أن يكون العالم المتطور علمياً وتكنولوجياً، والمتمتع بأنواع اللذائذ المادية، منحطاً في أخلاقه وفي قيمه المعنوية، وهذا الانحطاط، سيؤدي دون شك إلى سقوط كلي تام.

خامساً) انطواء الإنسان على قطبين متناقضين يؤدي إلى حرية الإنسان، وإلى اختلاف مستوى إنسانية أفراد البشر، كما يؤدي - إضافة إلى ذلك - إلى انقسام المجتمع إلى قطبين متناقضين، قطب يسير على طريق التكامل الإيماني والعقائدي والخلقي، وقطب منحط حيواني يعيش من أجل بطنه وفرجه.

^{١١} كتاب «أصول فلسفه وروش رئاليسم» مبادئ الفلسفة ومنهج الواقعية، للعلامة الكبير محمد حسين الطباطبائي. والأستاذ الشهيد أضاف إلى الكتاب شروحاً وهوامشاً هي أعمق ما خلفه (رضوان الله عليه) من بحوث فلسفية (م).

سادسا) حركة تكامل التاريخ تتجه نحو «الحق» ونحو الارتباط بالعقيدة والإيمان والأهداف السامية، والتحرر من سلطة البيئة الطبيعية والاجتماعية والعوامل النفسية.

نستطيع - في الحقيقة - أن نلخص الاتجاه الثاني بما يلي:

أولا) الإنسان مفطور على أن ينشد الكمال والتطور.

ثانيا) القيم الإنسانية أصيلة بأجمعها، وذات جذور متعمقة في الطبيعة الإنسانية. وهذه القيم هي نفسها العامل الأساس في حركات التاريخ.

الإنسان - على المستوى الفردي - يعيش صراعاً دائماً في أعماقه بين قطبين، قطب الإنسانية، وقطب الحيوانية. وحركة الإنسان تتجه، من خلال هذا الصراع، نحو التكامل بالتدرج.

ومن مستلزمات التكامل، الاستقلال عن تأثير المحيط الخارجي والتأثير المتزايد في هذا المحيط. ومن هنا فالإنسان المتكامل موجود متحرر من المحيط الخارجي والداخلي (نقصد بالمحيط الداخلي قطب الحيوانية في ذات الإنسان).

الجانب النفسي للإنسان متقدم على جانبه الاجتماعي. والإنسان ليس بشريط تسجيل خال يمكن الإملاء عليه ما نشاء، وليس بمادة خام تتغير طبقاً لتأثير العوامل الميكانيكية الخارجية.

الإنسان كالفرس وكالبذرة. حركته نحو الكمال ونحو الاستقلال الإنساني حركة ديناميكية لا ميكانيكية. التكامل من مستلزمات العناصر الحرة في الطبيعة بما فيها الإنسان والتاريخ الإنساني.

طبيعة التاريخ ليست طبيعة مادية محضة، بل طبيعة مزدوجة، وكذلك طبيعة الإنسان.

التاريخ ليس بحيوان اقتصادي، وهكذا الإنسان. وهذه الازدواجية في طبيعة الإنسان لا تتنافى مع خصلة الحركة التكاملية التي تنطوي عليها ذات الطبيعة. مما تقدم نفهم أن الثورات ليست بذات صفة اجتماعية محضة، بل ذات جذور تمتد إلى طبيعة الإنسان.

الصراع الداخلي في الإنسان يؤدي إلى تكامل واستقلال بعض أفراد البشر، وهذا بدوره يؤدي إلى صراع بين الأفراد المؤمنين الملتزمين العقائدين، والأفراد المنحطين الراسفين في أغلال الحيوانية.

وهذا الصراع هو الذي يعبر عنه القرآن الكريم بالصراع بين الحق والباطل. الاتجاه الآلي لتفسير التاريخ يذهب إلى أن عامل الحركة في التاريخ هو الطبقة المسحوقة اقتصادياً، وأن غايتها هو تأمين المصالح المادية، وأساسها تطور وسائل الإنتاج، وطريقها إثارة الفوضى والاضطرابات، كما أن هذا الاتجاه ينفي أصالة الوجدان الإنساني ويعتبره تابعاً للمصالح الاقتصادية.

أما لاتجاه الفطري أو الإنساني، فيرفض أن يكون عامل الثورة منحصراً بالطبقة المسحوقة اقتصادياً ويرفض أن تكون الغاية مادية دوماً. كما يرفض ما ذهب إليه الاتجاه السابق في تفسير أساس الحركات وغاياتها. ويرى أن العامل في بعض الثورات كالثورات الفنيّة والخلقيّة والعلميّة لا يقتصر على الطبقة المسحوقة اقتصادياً، والغاية فيها هي القيم الإنسانية أحياناً، كما أنّ أساسها هو

الميل الذاتي للإنسان نحو طلب الحق والحقيقة، والطريقة فيها أحياناً الوقوف بوجه التلاعب بالقانون ومعارضة الخروج عن المبادئ القانونية، (قارن بين الاتجاهين!)..

الهدف من الثورات - استناداً إلى النظرية الفطرية - قد يتجاوز إطار المسائل الرفاهية والمعيشية، ويتخذ صفة عقائدية، وقد تأبى الطبقة المحرومة، أن تضفي على مظاهراتها وإضراباتها صفة مادية اقتصادية - كما حدث في إيران خلال الثورة - كما أن القيادة قد تطرح على الساحة شعارات لا تنحصر في النطاق الاقتصادي، بل تتجاوز هذا النطاق لتتخذ صبغة الآمال الإنسانية والمعتقدات السامية^(١٢).

من أجل تحليل ثورة إيران، ودراسة مدى انطباقها على النظريتين المذكورتين، ينبغي دراسة الثورة في الحقول التالية:

- ١- دراسة الأفراد والمجموعات التي حملت أعباء الثورة.
- ٢- البحث عن العلل والجذور التي أسهمت في تفجير الثورة ودفعها.
- ٣- دراسة الأهداف التي توختها الثورة.
- ٤- دراسة الشعارات التي وهبت الحياة والحركة لثورة الجماهير.
- ٥- تحليل دور القائد وتكتيك القيادة.
- ٦- دراسة شمول الثورة واتساع نطاقها الشعبي.

^{١٢} ما ذكره الأستاذ الشهيد عن اتجاهي تفسير التاريخ، وهو موجز لما ذكره بالتفصيل في كتاب «نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ» هذا الكتاب ترجمناه إلى العربية، وطبعته «المكتبة الإسلامية الكبرى» (المعرب).

أما الجذور، فيمكننا أن نبحث عنها في أحداث السنوات الخمسين الأخيرة ومنها:

استبداد الاستعمار الجديد، وفصل الدين عن السياسة، والدعوة للعودة إلى عصر ما قبل الإسلام، وتحريف التراث الإسلامي، والمذابح الوحشية. والتفاوت الطبقي، وسيطرة العناصر غير الإسلامية على المسلمين، والنقض الصريح للقوانين الإسلامية، ومكافحة الأدب الفارسي الإسلامي بحجة مكافحة الألفاظ الأجنبية، والعزلة عن الشعوب الإسلامية وتوطيد العلاقة مع أعداء المسلمين كإسرائيل، والدعايات الماركسية... الخ.

بعض هذه الجذور ذات صفة مادية، وبعضها الآخر يرتبط بجرح المشاعر الإنسانية، وقسم آخر - وهو ماله السهم الأوفى - يرتبط بجرح المشاعر الإسلامية.

وينبغي أن نضيف إلى تلك العلل والعوامل عاملين آخرين:
الأول) فشل الليبرالية الغربية.

والثاني) تبدد الآمال في الاشتراكية الشرقية. ومن هنا يبرز دور وعي شعبنا المسلم في العودة إلى أصالته وفي إحساسه بكرامته الذاتية وفي موقفه من تراثه وفلسفته.

المسألة الأساسية هي اليقظة الإسلامية لشعبنا، الروح الإسلامية والهوية الإسلامية لشعبنا برزت بشكل واضح وجليّ في الصراع الأخير الذي خاضه الشعب الإيراني. وهذا الوعي الإسلامي غير منفصل عن الوعي الإسلامي العام

في العالم الإسلامي. فالشعوب الإسلامية بدأت تبحث عن هويتها الواقعية بعد أن
يشتت وخابت آمالها من أطروحات الشرق والغرب.

المسلمون اجتازوا مرحلة الذوبان وفقدان الشخصية وهامهم اليوم يعودون إلى
أصالتهم. ومع هذه العودة تبدو في الأفق طلائع ولادة عالم ثالث يتحدى الشرق
والغرب.

تحليل ماهية هذه الثورة لا ينفصل عن تحليل قيادة الثورة. لماذا أضحي الإمام
الخميني قائداً مطلقاً بحيث اضطرت الأقطاب المخالفة أن تنضوي تحت لوائه؟
لماذا هذا التأثير الكبير الذي أحدثته نداءات الإمام الخميني وبياناته؟

لِمَ كانت بيانات الإمام تنتشر في إيران كانتشار النار في الهشيم على الرغم من
الأخطار التي كانت تواجه كل من يسعى في نشر هذه البيانات؟

نعم لاشك أن شخصية الإمام، وما يتمتع به من صمود لأحد له في وجه
الظالمين من أجل نصرة المظلومين، وما يتحلّى به من صدق وصراحة وصرامة
وعدم مدهانة، كان له الأثر الكبير في تسنّمه زمام قيادة الأمة، لكن المسألة
الأساسية في هذا القائد كانت شيئاً آخر.

إنها أصالة النداء الذي أطلقه الإمام الخميني. فنداء هذا القائد انطلق من قلب
ثقافة هذه الأمة ومن أعماق روحها، ومن مزيجها الحضاري.

لقد عاش شعبنا خلال أربعة عشر قرناً ملاحم «محمد» و«علي» و«فاطمة»
و«الحسن» و«الحسين» و«زينب» و«سلمان» و«أبي ذر».. وأمثالهم، وهذه الملاحم

امتزجت مع روحه وعقله، وهاهو اليوم يسمع أنغام تلك الملاحم التي ألفها من قبل، تخرج مرة أخرى من حنجرة هذا الرجل.

رأت الجماهير علياً وحسيناً مجسدين في شخص الإمام، كما وجدت فيه المرأة التي تعكس بشكل كامل ثقافتها المهانة المحقّرة.

ما الذي فعله الإمام؟

إنه أعاد لهذه المجموعة البشرية شخصيتها المفقودة. أعاد لها وجودها الواقعي وهويتها الإسلامية وأنقذها من الضياع والذوبان. وهذه أكبر هدية منحها القائد لشعبه.

لقد استطاع الإمام القائد أن يعيد إلى الجماهير إيمانها بنفسها. وأعلن بصراحة أن الإسلام وحده قادر على إنقاذ هذه الأمة.

طرح الإمام على الساحة مسألة الجهاد الإسلامي وحدّد للجماهير واجباتها الدينية، وصور أمامها عظم الشهيد والشهادة.

هذه الأمة التي عاشت طويلاً أمل الانخراط في زمرة أصحاب الحسين، وردّدت صباح مساء عبارة خاطبت فيها شهداء كربلاء قائلة: يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.. هذه الأمة وجدت نفسها فجأة على مسرح كربلاء وتبوك وبدر وأحد وخيبر، وجدت نفسها أمام الحسين وجهاً لوجه. وهذا هو الذي هزّ الملايين من الأعماق ودفع بها إلى أن تسبغ الوضوء من ينبوع الحب الإلهي، وتخرج مكبرة مهللة لتحطم عروش الظالمين.

- سؤالي الأخير عن مستقبل هذه الثورة هل تعتقدون أن بالإمكان صيانة معطيات هذه الثورة واستمرار مسيرتها بحيث لا تعود الأوضاع السابقة، ولا تنتهي الأوضاع إلى حالة سيئة؟

ج - من السذاجة - طبعاً - الاعتقاد بأن كل شيء قد تم. آثار النظام السابق لا تزال باقية، وهذه الآثار نلمسها في كل ما كان يقوم عليه ذلك النظام من ثقافة عملية، ومن تركيب اجتماعي خاص.

لا يزال كثير من أبناء شعبنا يصدر أحكامه على الطريقة الشاهنشاهية الآريامهرية.

ومن هنا فنحن بحاجة أولاً إلى كنس الثقافة الاستعمارية، وإلى تطهير البلد من آثار الاستعمار.

والى جانب هذا فهناك أيادٍ تحاول إعادة الوضع السابق، وثمة مجموعات يسارية تحاول دفع الثورة نحو الشيوعية، وإضافة إلى هؤلاء وأولئك، هنالك «العلمانيون» الذين يريدون إبعاد علماء الدين عن الساحة بعد أن استفادوا منهم في إسقاط النظام الشاهنشاهي، ليعيدوا ما قاموا به من دور في الحركة الدستورية الإيرانية وفي حركة استقلال العراق وفي الحركة الوطنية الإيرانية.

مع كل هذه الأخطار والمشاكل تمتلك الثورة أقوى الأسلحة وأمضاها، إنه إيمان الشعب بقوته وعودته إلى قيمه الإسلامية الأصيلة.

كل القوى الكبرى تخشى يقظة الجماهير المسلمة أشد الخشية، لو استيقظ الشرق المسلم لما استطاعت أن تقف بوجهه أعظم الأسلحة وأفتكها. وطريق هذه اليقظة هو العودة إلى تاريخنا وحضارتنا.

أتذكر أنّ طالباً سألتني بعد انتهاء إحدى محاضراتي قائلاً: لو أنّ الإسلام كان قادراً على إنقاذ الشعوب وصنع الحضارة، فلماذا لم ينهض بهذه المهمة خلال أربعة عشر قرناً من ظهوره؟؟

أجبتُه بسبب جهلك وجهلي بتاريخ الإسلام، فمن عوامل انحسار الإسلام عن الحياة جهل مثلك وأمثالك بالحضارة الكبرى التي أقام صرحها الإسلام في تاريخ البشرية.

ما كان بالإمكان إطلاقاً أن تخضع أمتنا لسيطرة القوى الكبرى لو حافظت على ارتباطها بثقافتها الأصيلة. كلّ جهود المستعمرين انصبت على قطع صلة الأمة بتراتها الحضارية. ولقد شاهدنا بأمّ أعيننا الجهود الضخمة التي بذلت فيما يسمّى باحتفالات «ذكرى مرور ألفين وخمسمائة عام على تأسيس الشاهنشاهية»!! من أجل إبعاد الحضارة الإسلامية عن مسرح تاريخ هذه الأمة.

لا بأس أن أذكر هنا مثلاً آخر على محاولات النظام المنحدر في هذا المجال.

قبل أن يغلق النظام البائد «حسينية إرشاد» كانت الإعلانات المرتبطة بدروس الحسينية ومحاضراتها تنشر في الصحف، بشكل رتيب، ولم تحذف الرقابة تلك الإعلانات، إلا إعلاناً واحداً.

هذا الإعلان كان يرتبط بمحاضرة، تقرر أن ألقيا في الحسينية المذكورة حول حرق مكاتب مصر وإيران، وحول اختلاق قصة حرق المسلمين لهذه المكاتب.

وأردت أن أدرج هذا الموضوع في كتاب «الخدمات المتبادلة بين إيران والإسلام»، لكنني علمت أن الكتاب سوف لا يسمح له بالطبع إن فعلت ذلك. هذه الحادثة تميظ اللثام عن الاتجاه الإعلامي للنظام البائد، فقد أراد هذا النظام أن يغرس في أذهاننا أن الإسلام لم يبنِ أية حضارة، بل أباد الحضارات السابقة.

قلت لذلك الأخ السائل: ربما كان اعتراضك صحيحاً لو أن الإسلام لم يبنِ في تاريخه أية حضارة، لكن العالم الإسلامي فرض سيادته العلمية والثقافية على المعمورة لمدة خمسة قرون، وأوربا اليوم مدينة للحضارة التي شيدها الإسلام. وإنه كواضح لديّ كوضوح الشمس أن الفلسفة الاجتماعية الإسلامية متفوقة على فلسفة الحياة الغربية تفوقاً كبيراً.

انتصار نهضتنا في المستقبل يرتبط إلى حد كبير بإيماننا بأنفسنا، وبقدرتنا على إحياء القيم الإسلامية الأصيلة.

لو واصلنا طريقنا على أساس الموازين الإسلامية، وأزلنا مفاسد مجتمعنا ومعايه على هذا الأساس أيضاً، وتحلينا بالصبر والتقوى وتحلينا بروح الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأضحى انتصارنا حتماً لا شك فيه.

انظر إلى الحركة الفلسطينية، ستجد أن بطأها في تحقيق أهدافها يعود بالدرجة الأولى إلى عدم نقائها الإسلامي، وإلى وجود تيارات شيوعية في داخلها^(١٣).

وفي أحداث نهضتنا هذه، رأينا أن شهادة شاب مسلم تؤدّي إلى تصاعد الثورة واستفحالها بينما يؤدّي مقتل فرد من المجموعات غير المسلمة إلى بطء حركة النهضة، وذلك لأن الجماهير كانت على علم بآراء هذه المجموعات بشأن الكون والحياة والمجتمع. وكانت الجماهير تخشى دوماً أن تقع السلطة بأيدي هذه المجموعات اللاإسلامية إن سقط النظام الشاهنشاهي.

النظام البائد كان على علم بنفور الناس ومقتهم للماركسية حين أطلق على المسلمين المناضلين اسم «الماركسيين الإسلاميين».

لقد بدأ المسلمون يعون في كلّ العالم أنّ الطريق الوحيد لتحرّركم من قيودهم وأغلالهم ينحصر باعتمادهم على قدرتهم.

تاريخنا المعاصر أثبت بوضوح أن الشيوعية والامبريالية على تناقضهما الظاهري - كشتفي مقص - اجتماعاً على هدفٍ واحدٍ.

أعتقد أنّ الوقت قد حان ليرتفع نداء العودة إلى الإسلام لا في مجتمعنا حسب بل في جميع العالم الإسلامي، ولو قدّر لهذا النداء أن يرتفع، لسمعنا معه أصوات

^{١٣} يذكر الأستاذ مطهري هذه الملاحظة قبل انبثاق الاتجاه الإسلامي في الحركة الفلسطينية. هذا الاتجاه الذي أثبت أنه هو الوحيد القادر على تعبئة طاقات الشعب الفلسطيني ودفنها نحو الثورة.

تحطم السلاسل والقيود التي تكبل مسيرة هذه الأمة وطاقاتها، ولشهدنا ولادة
الأمة الإسلامية المقتدرة من جديد.

- أشكرك فضيلة الأستاذ!

قصيدة بعنوان عام الخميني

الشاعر: المرحوم الشيخ عباس الريس

غاية الليل في الزمان النهارُ
وإذا الليل طال طالت هموم
والرياض الخضراء قد يعتريها
قد يعيش الإنسان حلاًماً لذيذاً
ضاعت الناس بين زيدٍ وعمروٍ
فتبع لما أقول ففيه
فلتة الدهر سيدٌ هاشميٌ
بشّرنا به الأئمة فيما
حلّ ضيفاً على أيه عليٍ
واستقرتْ به الديار ولكن
وسكون السفين والبحر رهو
وإذا الريح صفقت كل صوب
ضاق وادي العراق باللث ذرعاً
فهو قد أشعل الفتيل بإيران
إن عرش الطاووس فيه زيم

فالدجاجي تذيبها الأنوارُ
الصب فيه وملّه السمارُ
لا فحّ منه تذبل الأزهارُ
هو في واقع الحياة بخارُ
لا تقل زيد لفظه مستعارُ
عجبٌ غير أنه أشعارُ
قد نفته عن داره الأشرارُ
قد روته الأخبارُ والآثارُ
فحواه من الغري الجوارُ
ما ليث في غابه استقرارُ
وثبة قد يكون فيها الدمار
سوف يأتي من بعدها أعصار
وأبت أن تضمه الأقطار
فمدت لسانها فيه نار
فاتك في فعاله جبار

لا يبالي فعلا فبئس الجار
لحسينٍ وودعته الديارُ
وبكاء الجماد فيه اعتبارُ
وعليه مهابة ووقارُ
عبقرياتها التي لا تحارُ
شامخات الجبال حين تدارُ
لا تقل كيف تودع الأسرارُ
بعزٍ إن عزتِ الأنصارُ
هي في هامة الزمانِ شعارُ
كل حين تبثه الأخبار
هل سيرضى بذلك الثوار
في ظروف عصيبة (بختيار)
الأماني وجره الدولار
شرعة الحق ، فهي نعم الشعار
فهو للظالمين فيه الدمار
تشد الجميع أن ينهاروا
كغيوم تذيبها الأعمار
تخمد النار فهي فيها استعار

والحبارى تخاف فتك صقور
ودّع القائد الخميني أرضاً
غادر الأرض وهي تبكي عليه
وتولى الإمام شطر (فرنسا)
قائد أخرس العقول فحارتُ
بين كفيه سبحةً تنهاوى
فهى سرٌّ من الإله خفيٌّ
ينصر الله كل من ينصر الله
هكذا يصنع الزمان رجالاتاً
وتوالى رفع ونصب وخفض
كل يوم على الوزارة عزل
وتولى وزارة الشاه جهرا
فرح القائد الجديد وأعمته
لكن الثائرون يأبون إلا
مطلب يصعب التحدث فيه
ثقة القائدين عند المقودين
وتوالى مؤامرات وذابت
قال للشاه أنت تخرج كيما

غاية النار في اللهب احمرار
 حين يغويه خادع مكار
 ويلاشي رؤى الليالي النهار
 عليه مذلة وانكسار
 ثقيل تحوطه الأخطار
 فوجود الطريد في مصر عار
 قد رتمه بنبلها الأقدار
 كذباب تضمه الأقدار
 واعتراه بالاجتماع انشطار
 لاحتمال الأعباء وهي مرار
 لجميع المستضعفين انتصار
 يالجمع في راحتيه يدار
 مثلما تعطف اليمين اليسار
 يحرق الشمس حره اذ يثار
 وتداعت أمامها الأسوار
 يخمد النار مدفع هدار
 وكذا غاية اللهب استعار
 حيث يحميه صارم بتار

وأنا من علمت نار تلظى
 يخدع المرء نفسه من غرور
 تتراءى الأحلام للمرء ليلاً
 غادر الموكب المشرد طهران
 حل ضعيفاً أرض الكنانة والضيف
 وتوالى النقد المرير لمصر
 لكن الشاه زار خلاً حميماً
 وتلاقى الإثنين جمع الخطايا
 رب جمع قد فرق الجمع دهرأ
 يجمع الشمل بالنهي إن تدانت
 وثب الليث وثبة كان فيها
 وأهاج الأشبال شبل علي
 يعطف الجمع بالإشارة طوعاً
 وتراءى لبختيار لهيب
 وتخطت حواجزاً من حديد
 غير أن الجيش اللهم مكين
 غاية المرء في الحياة كمال
 ينبت المجد في ظلال المواضي

ظلم فرداً يهودياً ولكن
أعلن القائد الرحيل لإيران
وتراءى للناس وهم كبير
كيف يمشي والأرض شوك قتاد
طرق السير أغلقت واستعدت
ليواسي بنفسه كل فردٍ
كي يقود الجميع للنصر فالأحداث
واستقل الإمام طائفة الموت
ورأى (بختيار) أمراً مهولاً
حاصر الأرض والسماء بنار
ورأى الناس بالملايين خفت
ورآه ولات حين مناص
شرعة الغاب فعل كل غبي
حلق النسرت حط على الأرض
ثم سار الركب المهيب رويداً
لضحايا الإسلام في جنة الزهراء
وقف القائد العظيم كطودٍ
كوقوف الحسين حين تهاوت

ظلم شعبٍ يعود وهو انفجار
فطاشت لذلك الأفكار
فالخميني هازل ثرثار
يلهب الرجل من سناه أوار
قاذفات الردى وسدّ المطار
أرعبت قلبه خطوب كبار
أمست وليس فيها انتظار
عليها قد حلق الانتصار
لا تسل كيف حاله (بختيار)
ورصاص فما أفاد الحصار
فهني في مهمه الفلا تيار
أن سيندك حصنها المنهار
فقد العز فاعتراه البوار
ففرّت من خوفه الأطيّار
مثل ما سار كوكب سيار
فنعم المزور والـزوار
وعليه من الأسى آثار
في ثرى الطف كلها الأنصار

أبواه الحسين والكرار
 فهي سودٌ وان علاها اصفرار
 سيروا إليه فساروا
 كهشيمٍ يعلو عليه الغبار
 هشة ما عسى يدوم الستار
 واستكان العريف والطيّار
 نصف قرنٍ يسوسه استعمار
 إنما الجيش للبلاد جدار
 فسواء هزيمة وانتصار
 عمرك الله هذه الأحرار
 فاعتبره فإن ذاك اعتبار

من يشابه أباه ليس ظلوماً
 غير أن الظروف تأتي جموداً
 وهناك الزعيم أعلن أن النصر آت
 وتهاوت تلك القلاع تباعاً
 وتوارى العدو خلف ستور
 مزق الستر والحصون تداعت
 وتهادى النصر المبين لشعب
 وتوالت فيالق الجيش طوعاً
 جسدت ثورة الحسين كرام
 حقق النصر قائد ومقود
 هو نصر الإسلام في كل أرض

الفهرس

- ٣..... بيان الخصائص والأسباب الرئيسية لتبلور الثورة الإسلامية
- ١٣..... الثورة الإسلامية ورسالتها
- ١٣..... أبعاد الثورة الإسلامية
- ١٦..... الاستكبار وشعاره التسلط على الآخرين
- ٢٠..... القيم المعنوية رسالة الثورة الإسلامية
- ٢٦..... مقابلة مع العلامة الشهيد الشيخ مرتضى مطهري حول مسائل النظام والثورة
- ٧٦..... قصيدة بعنوان عام الخميني